

تاريخ الإرسال (18-10-2019)، تاريخ قبول النشر (08-04-2020)

د. محمد يوسف بنات

اسم الباحث:

جامعة القدس/أبو ديس-فلسطين

اسم الجامعة والبلد:

البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

mobanat@staff.alquds.edu

”ظاهرة البخل في الشعر الأندلسي“ دراسة موضوعية وفنية

<https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.1/2021/6>

الملخص:

تناول هذا البحث ظاهرة طرقها الشعراًء في مختلف العصور، وهي البخل، واقتصر البحث على دراستها في الشعر الأندلسي، وقد جاءت الدراسة الموضوعية في سلسلة محاور رئيسية: بخل أهل الأندلس، وأشهر البخلاء، وموقف الشعراًء من البخل، وتصوير البخلاء، والبحث على الإنفاق، والدعوة إلى الرُّزْهَد. أمّا الدراسة الفنية، فجاءت في ثلاثة محاور هي: شكل القصيدة، واللغة والأسلوب، والمُسْرَّة الفنية. واعتمدت في الدراسة على المنهج التّارِيخي في استقصاء أعلام بخلاء الأندلس، والمنهج الوصفي التّحليلي في دراسة الشعر الذي تتّبعه. وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج لعلّ أبرزها: أنّ معظم البخلاء كانوا من أهل الغنى واليسار من ذوي الجاه والنفوذ والسلطان، وأنّ ابن عبد ربه من أكثر الشعراًء الأندلسيين حديثاً عن البخل، كما أنّ الشعراًء جاءوا بتشبيهات مبتكرة في وصف البخل والبخلاء.

كلمات مفتاحية: البخل، السُّخرية، البخلاء

Misery in Andalusian Poetry: An Objective and Artistic Study

Abstract:

This research studied the phenomenon of "misery" which was addressed by different poets over the centuries in general. This research focused the study of this phenomenon in Andalusian poetry in particular. The study consisted of six dimensions: Misery of the people of Andalusia, most notorious misers, poets' position on misery, imagery of misery, advocacy for generosity and call for asceticism. As for the artistic aspect, it consisted of three dimensions: Poem layout, language and style and artistic imagery. The study adopted the historical method in detecting most notorious Andalusian misers. The descriptive analytical method was followed in the study of the poems. The study revealed several outcomes mainly that most misers were wealthy and influential. Ibn Abed Rabbo, a modern poet, wrote extensively about misery. They introduced several innovative similes and metaphors in depicting misery and misers.

Keywords: misery, sarcasm, misers.

مقدمة:

جُبلت نفوس على الطَّمَع والحرص والشُّح والبُخل والتَّقْتير، وأخرى على الْكَرَم والبَذْل والعطاء والسَّخاء دون حدّ، هذا وقد حارب القرآن الكريم البُخل في كثير من آياته، ودعا الإنسان إلى الاقتصاد والتَّدَبِّر وعدم الإسراف، وكذلك الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصفه، وأكثر من ذَمَّه، وعيَّبه، وحَذَّرَ منه، واستعاذ بالله منه، ولو لِضيقِ المقامِ في هذه الجزئية من البحث لأورينا كثيراً من الآيات الكريمة والأحاديث الشَّرِيفَةُ الَّتِي حاربت البُخل ونَفَرَتْ منه.

وبالنَّظر إلى أدبنا العربي نجده زاخراً بالعديد من الظَّواهر الَّتِي استوقفت العلَمَاءَ الأَفَذَّ، وأفَرَدوَ لها مُصنَّفَاتٍ خاصَّةً، ومن بينها ظاهرة البُخل الَّتِي شغلت الشُّعَرَاءَ والأَدْبَاءَ، فلا يخلو ديوان شاعر من الإشارة إليها، ولا يخلو كذلك كتاب أدبي أو مجموع من الإشارة إلى طرفة أو نادرة تتعلق بأخبار البُخلاء وحكاياتهم، كما أفرد بعضهم فصلاً كاملاً عن البُخل على نحو ما فعل ابن الرُّكْنَ (ت380هـ) في "بِهَجَةِ السُّرُورِ فِي غَرَائِبِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ".

و عند البحث في قدميَّة الكتب الموضوعة في هذا الباب نجد أنَّ أبا عبيدة معمراً بن المثنى (ت209هـ) الذي عُرِفَ بشعوبته، فَأَلَّفَ "مُثَالِبَ الْعَرَبِ" وعاب فيه عليهم بخلهم من ضمن ما عاب، وكذلك سهل بن هارون (ت215هـ) الذي كان في نهاية البُخل ووضع رسالة فيه، وكان الأصمعي (ت216هـ) بخيلاً، وجمع أحاديث البُخلاء، وتحدث بها، وأوصى بها ولده. ولا تفوتنا الإشارة إلى الجاحظ (ت256هـ) الذي أَلَّفَ كتاباً مُسْتَقْلَّاً فيه وأطلق عليه "البُخلاءُ" ، وكتاب الخطيب البغدادي (ت463هـ) الذي حمل الاسم ذاته.

ومن خلال تقليب المصادر الأدبية والتَّارِيخِيَّةِ المُتَعَلِّقة بموضوع الْدِرَاسَةِ، وجد الباحث أنَّ البُخلاءَ كانوا من الأغنياء الأثرياء، وقد غلب عليهم البُخل والتَّقْتير، والمماطلة في الْوَعْدِ، ولذا ثارت ثائرة الشُّعَرَاءَ فاتَّخُوا من شُحِّهِمْ وأفعَالِهِمْ مادَّةً شَكَّلُوا من خاللها نماذج مُتَعَدِّدة للبُخلاء، وكشفت النِّماذج المُنتَخَبَةُ عن فكاهة ساخرة، وصور بديعة لا تخلو من طرافة، وأبانت عن جانب من الظَّواهر الاجتماعيَّةِ الَّتِي كانت سائدة في الأندلس على اختلافِ الحقبِ والعصورِ.

وأشار ابن سَيَّامَ غَيْرَ مَرَّةٍ إلى بُخلِ الأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ أَفْنَوُا أَعْمَارَهُمْ في جَمْعِ الْمَالِ، وَمَنْعِلِ النَّاسِ خِيرَهُمْ، وَكُلُّ مِنْ جَاءَهُمْ مادَّاً مَمْلَأَ فِي الْعَطَاءِ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَهْزِمُهُمْ وَلَا يُؤْثِرُ فِيهِمْ شَيْئاً. يقول: "وَأَصَعُّ بَعْدَ مِنْ هَذَا تَحْرِيكِ الْبُخَلَاءِ مِنَ الْبَذْلِ؛ لَأَنَّهُمْ بَعْدَهُمْ لَا تُكَنْ نُقلَتِهِمْ لَعْرَتِهِمْ، وَلَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُ مَجْدِهِمْ، وَلَا يَنْجُعُ تَقْرِيظُهُمْ، فَهَا هُنَّ يُحْتَاجُونَ إِلَى أَنْقَبِ مَا يَكُونُ مِنْ الْدَّهْنِ، وَأَوْسَعُ مَا يُمْكِنُ مِنِ الْحِيلَةِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْعَصَابَةِ لَا يَتَمَكَّنُ لِذِي النَّفَاهَةِ تَحْرِيكَهَا" (1).

وفي موضع آخر أثبتت صاحب الدَّخِيرَةِ فصَّلَّا من نشر ابن شرف القَيْرَوَانِي (ت460هـ) الْوَافِدُ عَلَى الأنْدَلُسِ في ذِكْرِ الدَّمِ والتَّقْصُّر جاء فيه: "يَجُودُ الْجَلْمُودُ، وَلَا يَجُودُ، وَيَعُودُ إِلَى إِثْمَارِهِ يَابِسُ الْعَوْدِ، وَهُوَ لَا يُبَدِّي وَلَا يُعِيدُ. كَيْسُهُ مُغْلَقٌ، وَبِنَائِهِ مُطْبَقٌ، وَدَارِهُ سَمْلَقٌ [مُفْقَرَّةٌ]، وَجِيشُهُ مُمْلَقٌ، وَمِيزَانُهُ حَبِّسٌ لَا يُطْلَقُ، كَفَّاهُ كَكَفِيهِ لَا تُتَبَّهُمَا النَّارُ، وَلَا يَعْرَفُانِ الْتِرْهُمُ وَلَا الدِّينَارُ، وَأَكِيَاسُهُ كَالْنَّقَدِ، قَدْ خَنَقَهَا الْعُقْدُ، يَدُهُ حَافِرٌ وَفَاحٌ، وَقُفْلُهُ لَيْسَ لَهُ مِفْتَاحٌ. تَمُّرُّ الْأَيَّامُ وَلَا يُشْمُّ لَهُ طَعَامٌ. لَوْ مَلَكَ طَوْفَانُ نُوحٍ، لَمْ يَسْمَحْ مِنْهُ بِشَرْبِهِ لَظَمَانَ مَجْرُوحٍ" (2).

لعلَّ هذا التَّوْصِيفُ وإنْ كانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُبَالَغَةِ يَنْطِقُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ اسْتَولَى عَلَيْهِمُ الْحَرَصُ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الشُّحُّ وَالبُخلُ، وَاتَّصَفُوا بِسَمَاتِ الْمُنْعَنِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ، فَتَلَقَّوْا الدِّرَاهِمَ الَّتِي تَنَاوَلَتْهَا الْأَكْفُرُ، وَلَمْسُتْهَا أَيْدِيَ الْأَلْفِ العَبَادِ، لِتَسْتَقِرَّ فِي أَكِيَاسِهِمْ وَخَزَانَهُمُ الْمُوَالِهِمْ. وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ النَّاسِ مُشَهُورٌ، وَسَرَّهُ ذَائِعٌ مُنْشُورٌ، كَيْفَ لَا وَقَدْ حَرَمَ نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ

ملذات الحياة، واللصق بنفسه من الصِّفات الّتي لا تكون إلّا في الجماد، وآخر الإمساك والتّقىير، وأطبق أصابعه على كفيه تمسّكاً بالحياة وحجاً لها، ومنع يده أن تطلق لخير أو إحسان، فهذه مذمّة ما بعدها مذمّة، ومنقصة ما بعدها منقصة.

الدراسة الموضوعية

أولاً- بخل أهل الأندلس بصورة عامة

ثمة إشارتان تدلّان على أنّ صفة البخل كانت متأصلة لدى الأندلسين بعامّة، الأولى ذكرها المقري نقاً عن ابن سعيد (ت685هـ) في حديثه عن صفة أهل الأندلس فقال: "وهم أهل احتياط وتدبّر في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذلّ السؤال، فلذلك قد يُنسِبون للبخل" (3).

والثانية جاءت على هيئة قصّة طريفة وقعت له مع أبيه حينما مرّا بقرية من قرى الأندلس، ولا تخلو من مظاهر الاحتياط والتّدبّر، وإن كانت في أصلها تدلّ على البخل، فقال: "ولقد اجترّت مع والدي على قرية من قراها، وقد نال منا البرد والمطر أشدّ النّيل، فأؤينا إليها، وكأنّا على حال ترّقّب من السُّلطان وخلو من الرّفاهية، فنزلنا في بيت شيخ من أهلاها، من غير معرفة مُتقدّمة، فقال لنا: إنّ كان عندكم ما أشتري لكم فحّما تسخنون به فإني أمضى في حوائجكم، وأجعل عيالكم يقّومون بشأنكم، فأعطيتكم ما اشتري به فحّما، فأضرم ناراً، فجاء ابن له صغير ليصطلي، فصربيه، فقال له والدي: لم ضربته؟ فقال: يتعلّم استغناناً مال الناس، والصّرّج للبرد من الصّغر، ثمّ لمّا جاء اللّوم قال لابنه: أعط هذا الشّاب كسامك الغليظة يزيدها على ثيابه، فدفع كسامه إلى، ولما قمنا عند الصّباح وجدت الصّبّي منتبهاً ويده في الكسّاء، فقلت ذلك لوالدي، فقال: هذه مروءات أهل الأندلس، وهذا احتياطهم، أعطاكم الكسّاء وفضّلوا على نفسه، ثمّ أفكّر في أنك غريب لا يعرّف هل أنت ثقة أو لصّ، فلم يطب له منام حتى يأخذ كسامه خوفاً من انفصالك بها وهو نائم، وعلى هذا الشّيء الحقير فَقِيس الشّيءِ الْجَلِيل" (4).

ثانياً- أشهر بخلاء الأندلس

من الأخبار التي رواها صاحب "الذّخيرة" عن بخل ملوك الطّوائف، ذلك الخبر الذي يتعلّق بإسماعيل بن ذي الثّون الملقّب بالظّافر، فقد كان مقتراً شدید البخل، ممسكاً يده، ولم ينل منه أحدٌ ممّن قصده شيئاً، يقول ابن بسّام: "وكان فلان من البخل بالمال، والكلف بالإمساك، والتّقىير في الإنفاق، بمنزلة بدّ فيها ملوك عصره. لم يرّغب قطّ في صناعة، ولا سارع إلى حسنة، ولا جاد بمعرفة، فما أعلمته إلى حضرته مطيّة، ولا عرّج إليه أديب ولا شاعر، ولا امتدحه ناظم ولا ناثر، ولا حظي أحدٌ منهم بطائل، ولا استخرج منه درهم في حقٍ ولا باطل، فأصبح في اللّوم قريع دهره، وفريدة عصره، لا يُعذّلُ فيه ملِك ولا سوقه" (5).

وقد تعرّض أبو مروان عبد الملك بن غصن لهجائه، فقال (6):

لَامِنْ كَلْبًا حَيْثُ لَسْتُ مُؤْمِنَةً	تَلَقَّبْتَ بِالْمَأْمُونِ ظَلْمًا وَإِنَّمِي
وَأَمَّا الَّذِي فَائِدُهُ هُنَالِكَ مَدْفَأَهُ	حَرَامٌ عَذَيْهِ أَنْ يَجُودَ بِبِشْرِهِ
بُحَاجَابِهِ لِقَاصِدِيْنَ مُعْوَنَةً	سُطُورُ الْمَخَازِيْنَ دُونَ أَبْوَابِ قَصْرِهِ

تكشف الأبيات عن هجاء لاذع للمهجو واصفاً إيه بالبخل، فلا يستحق اللقب الذي تلّقّب به، كما أنه لا يثق به ولا يأمن جانبه، فمن شيمه الغرّ والخيانة وعدم الوفاء، وقد عبر عن عدم الوثوق به بأن اختار الكلب صديقاً ورفيقاً أمّا هو فلا، وأمعن في هجائه بالقول إنّه لا يبشع في وجوه النّاس فهو دائم العبوس ولا يظهر المُسُرُور لمن يأتي إليه، وبالغ في الإشارة إلى بخله بأن قبر النّدى والكرم في دولته من زمن بعيد، ولذا وصف دولته بالخزي والعار، وجعل عنوانها حُجَّاب القصر الذين سطّروا لوحه من

الأعمال التي تُوصف بالمخازي والعار والشَّنار؛ لأنَّهم غلاظ أشَّاء مثُلَه إذ أوصدوا أبواب القصر وفي وجوه الغفَّاة، ولم يسمحوا لأحد بالدخول إليه دون إذن من صاحبه الذي اشتهر ببخله وشحه.

وفي معرض حديث ابن بَسَّام عن الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عَبَّاس (ت 427هـ)، ذكر أنه بدأ أهل زمانه في أربعة أشياء: المال، والغُبُّ، والبخل، حتى لو أنَّ الجاحظ رأه ما ضرب في البخل مثلاً، ولا ذكر في رسالته رجالاً. أمَّا الرابعة فهي شهرته بالكتابة(7). وقد رمى الأديب أبو جعفر بن الثَّبَّي قوماً منبني يوسف بن تاشفين بالبخل، ومدح منهم رجلين وهما القاضي أبو الوليد هشام وأخوه عليٍّ، فما في هؤلاء القوم من يسعى لمكرمة أو عطاء غيرهما، وأمَّا سواهما فمعروفون باللُّؤْم، وقد ضرب مثلاً دالاً على مصدق ما ذهب إليه وهو اجتماع صفات الحُسْن والقبح في الشَّيء نفسه كالورود الذي يجمع بين الرِّقَّة واللُّيُونَة وحسن المنظر من ناحية، والشُّوك الجارح المؤذِي من ناحية أخرى، ولا عجب في اجتماع هاتين الحُصْلتين في الشَّيء ذاته، يقول(8):

مَا فِي بَنِي يُوسُفَ سَاعِ لِمَكْرُمَةٍ
سَوْاكَ أَوْ صِنْوَكَ الْعَالِيِّ أَبِي الْحَسَنِ
كُرْمَمَا وَاعْتَدَى بِاللُّؤْمِ غَيْرُكَمَا
وَالشُّوْكُ وَالوَرْدُ مَوْجُودَانِ فِي غُصَّنِ

وفي مقطوعة أخرى عَرَضَ شاعر آخر بالمرابطين بعامة، جامعاً بين المدح والهجاء، فوصفهم بأنَّهم بخلاء في عطائهم، غير أنَّهم لا يخلون على عيالهم وأهل بيته، وهجا كذلك قبح منظرهم وسود وجوههم، ولذا فإنَّهم يتلَّمون خوفاً من رؤية الناس لهم بذلك المنظر القبيح، وهذا اللقب أيضاً غلب عليهم، فأطلق عليهم الملَّمون، والملَّتون لأنَّهم سود البشرة، أو كما قيل لأنَّهم غلب عليهم الحياة. فقال هاجياً(9):

إِنَّ الْمَرَابِطَ بِالْخَلِيلِ لِبِنَوَالِيِّ
الْوَجْهَةُ مِنْهُ مُخْلِقٌ لِقِبْلَيْحِ مَا

وكان أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله ابن أبي مُصر الطبّني (ت 427هـ) من أبخل أهل الأندلس ذكر ابن حيان: أن جواريه قتلته لتقديره عليهم. وقد وصفه كذلك الحِجَارِي بالبخل المُفْرط، مشيرًا إلى أنه كان يترك أهل داره يأكلن الخبز بلا إِدَام، فإذا طلبوا الإِدَام حَرَدَ عليهم، وقال: "هذه عادة سوء، فخنقوه"(10).

ولم يتورَّ الشُّعُراء عن ذِمَّة بخل بعض الأسر المعروفة في الأندلس، كأسرة بنِي سعيد التي بَرَزَ فيها أعلام الشُّعُراء والأدباء والكتَّاب والعلماء، وكان لهم دوراً بارزاً في الرِّيَاسَة بغرناطة، وفوق كلِّ هذا وذاك فهي أسرة مشهورة بالعَزَّ والرِّفْعَة والسيادة، وقد ورثوا ذلك المجد كابرًا عن كابر، فلم تسلم هذه الأسرة من أذى لسان هجاء الأندلس أبي بكر المخزومي الشَّهير بالأعمى الذي عاشرهم وأحسنوا إليه كثيراً، وعرف طباعهم وكرمهم وفضالهم، وعلى الرَّغم من ذلك فكان يُقابل كلِّ شيء بسوء الظنَّ، وهذا ما دفعه إلى هجائهم، ووصف ما فيهم من نقصٍ وعيوب، حينما سأله عن موعد الرَّحيل، فأنبَرَ لسانه السَّلِيل للتعريض بهم، ونعتهم بسوء الخصال، فهم يلبسون دثار البخل، وهم أبعد ما يكونون عن الكرم والجود، وجُلُّ مصيبيتهم حينما يُفَدُ عليهم زائر، وقمة سرورهم حينما يرحل عنهم مَنْ يُحرِّم من نوالهم، ولم ينلُ منهم ما طلب. وفي ذلك يقول هاجياً أسرة بنِي سعيد(11):

لَا تَرْجُونَ بَنِي سَعِيدِ الْأَنْدَلُسِ
فَالظِّلُّ أَفَيْدُ مِنْهُمْ لِسَائِلِ
أَبْصَرْتُ مِنْهُمْ أَغْيَرَ بَعْدِ مَنَازِلِ
وَسُرُورُهُمْ أَبَدًا بَخِبَّةَ رَاحِلِ

وله فيهم بنو سعيد - مقطوعة أخرى لا تخلو من هجاء لاذع، ولوم في الطِّبَاع، ونكران للجميل، فهذه الأسرة لا تستحق الهجاء ممَّن أنزلته بجوارها، وأسكنته بدارها، وأحسنت إليه ولكن مَنْ وفَدَ إِلَيْهَا وزارها. وهذا ما أشار إليه ابن سعيد حينما أَنَّ جَدَه عبد الملك أكرمه وأحسن معاملته وقرَبَ إِلَيْهِ (12).

ولم يكف ابن عبد ربه (ت 328هـ) بالتلعيب بأبناء الزَّمان من ذوي الجاه والمال، بل أخذ يُلَاحِّقُ أقرب الأقربين إليه، فابن أخيه سعيد مشهور بالبخل، وقد نقل لنا صاعد الأندلسي خبر سعيد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد ربه أَنَّه قصده يوماً، فبعث إلى عَمِّهِ أَحمد بن عبد ربه، فلم يجده عَمِّهِ إلى ذلك، فكتب إِلَيْهِ (13):

لَمَّا عَاهَدْتُ مُؤْنِسَةً وَجَالِيُوسَةً	نَادَمْتُ بُقْرَاطَةً وَجَالِيُوسَةً
وَجَعَلْتُ كُتْبَهُمَا شِفَاءَ تَفَرُّدِي	وَهُمَا الشِّفَاءُ لِكُلِّ جَرْحٍ يُوْسَى
الْأَفْيَتُ بُقْرَاطَةً وَجَالِيُوسَةً	لَا يَأْكُلُنِي وَيَرْزَآنِي جَلِيُسَةً
فَجَعَلْتُ تَهْمُمُ دُونَ الْأَقْبَابِ جُنَاحَةً	وَرِضَيْتُ مِنْهُمْ صَاحِبًا وَأَيْسَةً
وَأَظْنَتُ بُخَالَكَ لَا يُرَى لِكَ تَارِكَةً	حَتَّى ثَانِدَمْ بَعْدَهُمْ إِبْلِيُسَةً

فلما وصل البيتان إلى عَمِّهِ أَجَابَهُ بِأَبِيَاتٍ مِّنْهَا:

فهذه الأبيات تعرض للبخلا من الأقارب، وتكشف عن الأسباب في انقطاع الصلة بينهم في كثير من الأحيان، ومردُّ هذا كما تخبرنا المقطوعة يعود إلى بخل سعيد الذي انقطع عن الناس متقدراً لقراءة ما كتب الطَّبَيبان بقراط وجاليوس من كُتبٍ، غير أنَّ هذا غير صحيح، وإنما الذي دعاه إلى ذلك هو البخل على نحو ما يظهر في البيت الثالث، وما من شَكٍ في أنَّ البخل سيدفعه إلى مُصاحبة إبليس، ولهذا فإنَّ صفة البخل المتأصلة في نفسه هي التي أذهبت عن الجليس والمَّاصِح والمَّانِس، وأبعدت عنه كذلك القريب.

ومن أعجب القصص التي تدلُّ على البخل وأغريها، تلك التي نقلها صاحب "المُطْرَب" حول ما جرى لابن عبد ربه مع الكاتب أبي حفص عمر بن قلَمِيل في الشَّسْمُ على جاريته "مصابيح"، قال: اتَّقَعَ أَنْ اجتازَ أَحْمَدُ بن عبد ربه بدار أبي حفص عشيةً فقرع سمعه من طيب الغناء ما استوقفه، وأراد اللُّنُوَّ من الباب. وقيل: إِنَّه صُبِّعَ عليه من العَلَيَّةِ ماءَ بَلَّ ثيابه، فلم يردهعه ذلك عن طلب الازدياد في السَّمَاع، فعدل إلى مسجِّدٍ بقرب الدَّار. وسأَلَ المَعْلَمَ فِيهِ أَنْ يأتِيهِ بدوةٍ وبياضٍ يكتبُ فِيهِ فجاءَهُ بِهِما، فكتبَ إلى ابن قلَمِيل رقعةً فيها (14):

يَا مَنْ يَضِنْ بِصُوتِ الطَّائِرِ الْغَرِيدِ	مَا كُنْتُ أَحْسَبُ هَذَا الْبُخْلَ مِنْ أَحَدٍ
لَوْ أَنَّ أَسْمَاعَ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً	أَصْفَتُ إِلَى الصَّوْتِ لَمْ يَنْقُضْ وَلَمْ يَزِدِ
لَوْلَا اتَّقَائِي شِهَابَةِ مِنْكَ يُرْقِنِي	بِنَارِ لَا شَرَفَتِ السَّمْعَ مِنْ بَعْدِ
لَوْكَانَ زَرِيَابَ حِيَاثَمْ أَسْمَعَهُ	لَمَاتَ مِنْ حَسَدٍ أَوْ ذَابَ مِنْ كَمَدٍ
فَلَا تَضِنَّ عَلَى سَمْعِي ثَقَلَدَهُ	صَوْتًا يَجُولُ مَجَالَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ

فهذه القصَّة تكشف لنا موقفاً آخر من مواقف البُخْل، وهو أَنَّ بعضَهُمْ يَبْخُلُ عَلَى الْأَخْرِينَ بِأَبْسَطِ الْأَشْيَاءِ، ولو كان الأمر بيده لمنعهم من الحقِّ في السَّمَاع، فرُشِّ الماء على ابن عبد ربه يُمْثِلُ أقصى درجات السَّلَبِ والمنع من أبْسَطِ الْحُقُوقِ، وما الأبيات

التي ذكرها الشاعر إلا تعبيّر عن رفض مطلق واحتجاج صارخ على هذا الفعل، فما من أحدٍ يستطيع منع الآخرين من سماع أصوات الطيور المغيرة التي تصدر أصواتها المتردمة لتدخل السرور في النفس، ولا الأزهار الفواحة التي تنشر عبقها كلما هب النسيم، وقد عبر الشاعر عن ذلك الاحتجاج بصيغة النفي المطلق الذي لا يمكن أن يكون موجوداً عند أحدٍ من الناس، وإن كانت الجارية ملّكاً له فليس له الحق في احتكار صوتها لنفسه، فمن حق الآخرين الاستماع إليها والإعجاب بحسن صوتها الذي أحبه الشاعر وافتتن بها، مثيرةً إلى أنّ سماع أهل الأرض قاطبة لصوتها الجميل لن يزيد أو ينقص منه شيئاً.

وبدا ابن الحداد (ت 480هـ) ناقماً على بخيل آخر من الملوك وهو المعتصم بن صمادح، فأخذ يُشَهِّر به ويتهمه بالبخل

بعد أن ساءت العلاقة بينهما، فقال (15):

يَا طَالِبَ الْمَغْرُوفِ دُوَّاكَ فَاثِرْكُنْ
رُجْلَ إِذَا أَعْطَاكَ حَبَّةَ خَرْدِلَ
لَوْقَدْ مَضَى أَنَّكَ عَمْرُ نُفْحِ عِنْدَهِ
ذَارَ الْمَرِيَّةَ وَأَرْفَضَ ابْنَ صَمَادِحَ
الْقَاكَ فِي قَيْدِ الْأَسِيرِ الطَّائِحَ
لَا فَرْزَقَ بَيْنَكَ وَالْبَعِيْدِ النَّازِحَ

تكشف هذه الأبيات عن تعريض صريح بأمير المريّة، فيطلب الشاعر ممّن يفكّر في طلب المعروف منه أن يبادر في الرحيل عنه وعن قصره المعروف بـ"دار المريّة"؛ لأنّ صاحبها رجل بخيل قليل العطاء كثير المن، لا يعرف الكرم ولم يسمع به، فحال ممّن نزل بقربه بحال الأسير الموشك على الهاك، ولو أمضى الإنسان دهره عنده فلن ينزل منه شيئاً، وقد بالغ الشاعر في التّنّيّيس من الحصول على نداء حينما قرن بقاء المرء بفنائه رغبة في الحصول على نواله بعمر نوح عليه السلام - فالقريب والبعيد عنده صنوان في العطاء، وما من شكّ أنّ هذه الأبيات أغضبت المعتصم وأغاظته كثيراً، فحقّ عليه وأبعده، وهذا ما دفع الشاعر إلى الفرار منه طلباً للنجاة.

ثالثاً- موقف الشّعراء من البُخل والنّحذير منه

تعرّض الشّعراء للبخاله بعامة غير أنّ أكثرهم تناوله هم أصحاب الشّأن من الرؤساء والأثرياء؛ وذلك لأنّ البخل يجتمع مع المال، وبالتالي فإنّ أصحاب المال والثروة غالباً ما يكونون من الخاصة من الملوك والمسؤولين والأثرياء.

وقد وقف عدد من شعراء الأندلس موقعاً معاذياً من البخل والبخاله وما اتصفوا به من منع، فهذا أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللّرقي يدعو إلى التّرحيب بالصّيف وعدم الإزراء به، فمن طبعه أن يهشّ لحظه قدوم الصّيف، مبيّناً أنّ رزقه يأتي معه، فلا بدّ من إكرامه والإحسان إليه، فهو بمثابة شاعر يقوم بمدح من أحسن إليه وأكرم نزله، وكلّما حلّ بمكان أشار إلى الإكرام والإحسان الذي لقاء لدى مضيفه، وبهذا ينال شهادة واسعة في الأفاق، بحيث يُشير إلى حُسن الصّنْع، وجميل التّرّحاب، وكثرة الكرم. يقول (16):

إِذَا كَانَ يُرْزِي گُلَّ صَنِيفٍ بِصَنِيفِهِ
وَذَكَ لَأَنَّ الصَّرِيفَ يَأْتِي بِرِزْقِهِ
فَإِلَيْيِ بِصَنِيفِي حِينَ يَقْدِمُ أَفْرَحُ
فَيَأْكُلُهُ عَنِّي وَيَمْضِي فَيَمْدُحُ

وتكرّر المعاني نفسها في مقطوعة أخرى له، وفيها يتّعجب ممّن يطلب شكرًا على شيء يُحمد عليه مع ما فيه من منع، فالذّي يعطي يُمدح، والذّي يمنع يُهجى ويندم. وبناء عليه فمن يتطلّع إلى المجد لا بدّ أن يبسط يديه في البذل حتّى تتحقق آماله المعقودة وأمنيه المنشودة، وهذا ما دفعه لأنّ يُحبّ ضيفه أبداً، لأنّه سيلقى بعد ذلك شكرًا وثناء منه ما عاش (17).

عَجَّبَ لِمَنْ طَلَّبَ الْمَحَا
وَلِبَاسَ طِّامَالَةَ
لِمَنْ لَا أَحِبُّ بِالصَّرِيفَ أَفَ
وَالصَّرِيفُ يَأْكُلُ لَرْزَقَهُ

ويستكِر الشاعر ذاته موقف زوجته التي تفضل البخل على البذل، فقد أخذت تلومه على إفراطه في العطاء، إذ غير ذلك حاله وقاده إلى ضيق العيش وشَدَّته بعد أن كان مُترفًا يحيا حياة رغيدة، وقد جاء جوابه مُسْكِنًا مُبَيِّنًا أن البذل طبع جُبل عليه منذ أن خلق، وهذا أمر مستحيل أن يتغير أو يتبدل، وقد أحسن التمثيل عبر المقارنة بين ماله الذي أفناه وبدده في الخير رغبة في إعلاء شأنه، فكان كما النخل الذي تولأه صاحبه بالعناء والإصلاح وحسن المعالجة، فسرعان ما طالت واستطالت وأخذت تصعد في علو وارتفاع، وهذه حاله في طلاب المجد وبذل المال. قال (18):

وَتَقُولُونَ: نِعْمَ سَجِيَّةُ الْبَخْلِ
وَبَقِيَتْ فِي شَظَفٍ وَفِي أَزْلٍ
وَالظَّبْعُ لَيْسَ بِمُنْكَنٍ النَّقْلِ
كَالْأَنْجَلِ تَأْبِي وَيَسْتَنْجِلِي

طَفَقَتْ تُؤْتَبِنِي عَلَى الْبَذْلِ
فَأَذْأَصْبَحَ الْبُخَلَاءُ فِي شَرْفٍ
هِيَ شِنِيمَةٌ مِمَّا جُبِأَتْ بِهِ
لَهُ بَأْبَدَ دَدْدَهُ فِي رِفَعَةٍ

وقال أبو عثمان سعد بن أحمد النجبي الأندلسي محدثاً من البخل (19):

إِحْذِرِ الْجُنُلَ إِلَّا هُوَ شَرُّ خُلُقٍ
يُتَحَمَّلُ بِهِ وَشَرُّ طَرِيقَةٍ
مَنْ يَجِدْ غَيْرَ مُسْرِفٍ فَهُوَ فِي الْأَنْجَانَةِ
سُمْوَقَيْ ثَنَتِي عَلَيْهِ الْخَلَائِفَةُ

فالشاعر يذمُّ البخل ويحذرُ الناس منه، ويعدُّه من الأمور التي تنقص مقدار الإنسان و منزلته في المجتمع، ويعتبره شرًّا صفة لدِيه، وأقبح طريقة في نهج الحياة، ويقرن ذلك بصفة ضديّة تتمثلُ في الإنفاق والكرم، وهي صفة محبوبة يتفاخر بها الناس، وفيها يتسابقون رغبة في نوال الرّضا والثّاء والشهرة بين العباد. وغالبًا من يقابلون صاحب الأولى بالهجاء والتشهير والاحتقار.

وقد حذر ابن ليون التنجي (ت 750هـ) في دعوته إلى ضرورة التحلي بفضائل الأخلاق عبر الحكمة التي أطلقها وذهب مثلاً في التحذير من الضياع والخسران الذي يقود إلى الإضرار بحياة المرء، وحصرها الشاعر في ثلاث خصال تؤدي إلى الهاك، وهي: هوى النفس الذي يأسر الإنسان ويخضعه لقيده، كما أنَّ هذا الهوى يلحق الأذى بالنفس ويدفعها إلى الشُّح والامتناع عن المشاركة في أعمال الخير، أما الخصلة الثالثة فهي العجب والرُّهُو بالنفس والتَّكُبُر والغُرُور والتَّعَالَي على الآخرين. يقول مُحَمَّداً

منها جميعاً (20):

أَلَّا مُهْلِكَاتٌ لَا مَحَالَةٌ: هَوَى نَفْسٍ يَقْرُدُ إِلَى الْبَطَالَةِ
وَعَجَبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَشَحٌّ لَا يَرَانِ يُطَاعُ دَأْبًا

ومن جميل ما قيل في الحديث على إيقاع المال، وذم الحرص وجمع المال خوف حوادث الزَّمن قول ابن سارة

الشّنترىنى (21):

اسْكُدْ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ وَلَا تَنْ

فَالْبَخْلُ بَيْنَ الْحَادِثَيْنِ وَإِنَّمَا مَالَ الْبَخِيلُ لِحَادِثِ أَوْ وَارِثٍ

فقد أجاد الشاعر في الدعوة إلى إنفاق المال في وجه الخير، مستعيناً بقول الإمام عليٍّ رضي الله عنه: "بَشَرَ مالُ الْبَخِيلُ بِحَادِثِ أَوْ وَارِثٍ" (22). ولذا جاءت البشارة بمعنى الإنذار والوعيد، فمن لم ينفق ماله في الخير اختياراً فلا بد أن يهلك واحدة من اثنتين: إما أن يتعرض للحرق أو التلف أو الغرض أو الصياغ فتضيع سُدُّى، وإما أن يبقى لورثته بعد موته فينهاونه ويسلطون على نهبه ويسعدون بماله منه.

وقال ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين (ت 496هـ) مقتضياً بيته (23):

مَنْ كَأْتَرَ الْجُنْدَ رَأَى سَعْدَةَ	يَضْعُدُ حَتَّى يَتَهَيَ حَدَّةَ
وَمَنْ أَذَلَ الْمَالَ عَزَّزَ بِهِ	أَيَّامَةَ وَأَصَرَ رَفَثَ جُنَدَةَ
فَاهْدِمْ بَيْاءَ الْبَخْلِ وَأَرْفَضْ بِهِ	مَنْ هَلَمْ الْبُخْلَ بَتَّى مَجَدَةَ
لَا عَاشَ إِلَّا جَائِعًا نَائِعًا	مَنْ عَاشَ فِي أَمْوَالِهِ وَحْدَةَ

تكشف الأبيات عن رفض مطلق للبخل، وقد اعتمد الشاعر على ضرب الأمثال لمن الوصول إلى المجد والعلو والرُّفعة، فالسعادة لا يتحقق إلا بكترة الجند التي تقود إلى الانتصار، والعرة لا تكون إلا بإفباء المال، والمجد لا يكون إلا برفض البخل، ولذا يوجه الشاعر دعوة إلى هدم البخل كي يبني المجد بمعاول قوية وعلى أساس متينة، وعليه فإن البخل يبقى جائعاً نائعاً عطشان من فرط بخله وتقديره، وحرصه على ماله. ومن المعروف أن الشُّعراء كانوا يتذمرون بشعرهم رغبة في الحصول على التَّوَالِ إِلَّا أنَّهُم كانوا يعانون الذُّلُّ والهوان، إذ إنَّ النَّاسَ لا يقدرونهم ولا يثيرونهم على مِدَحِّهم، وهذا ما دعا بعض الشُّعراء إلى الشُّكوى من بخل النَّاسِ، والإشارة إلى عدم سخائهم وجودهم، ومن ذلك قول محمد بن شخيص في ذم البخل (24):

قِبَّلُ الشِّغْرِ مَغْسِرًا فَإِذَا هُمْ	صُورُ الْإِنْسَسِ فِي طِبَاعِ الْحَمِيرِ
كُلُّمَا حِلْ ثُمُّ لَأْشَدَ شَفَرِي	طَمَعًا مِنْ نَوَالِهِمْ بِالْيَسِيرِ
فَكَلَّا يَرَى وَضَعَفَتْ فَأَكَاهَةُ بُوقِ	فِي فَمِي أَوْ ضَفَطَتْ أَنْبُوبَ كَيْرِ

فهذه الصورة تشير إلى هوان منزلة الشُّعراء الذين انطلقوا مادحين أملأاً في الحصول على النَّزَرِ الْيَسِيرِ من العطاء، وتعبر عن انقطاع الأمل والرجاء في الحصول على التَّوَالِ، وتصور بخل النَّاسِ وقبح طباعهم، فهي رديئة قريبة من طباع الحمير، وتنظر الصورتان السمعية والحركية في البيت الثالث مشهداً ساخراً من أولئك القوم فهو أشبه ما يكون بالرَّأْمَرِ الذي رغب النَّاسُ عنه سماع صوته وجعلوا أصابعهم في آذانهم، أو بنافخ الكير الذي يتولى النَّاسَ هرِيًّا منه حتَّى لا تُسخِّن ثيابهم، وهذا البيت يشعر بأنَّ الشاعر منبود من هؤلاء القوم الذين جُبِلُوا على لُؤم الطَّبع وسوء الْحُلُقِ.

وهذا ابن الأبار (ت 658هـ) يَتَخَذُ موقعاً صارماً من البخل، فلا يرتضيه صديقاً، وإنَّ أوصله ذلك إلى أعلى مراتب الغنى،

فلا شيء أجمل من القناعة، منتها على أنَّ ما يفعله البخل سيكون سيدفعه هباءً منثوراً بعدما تفيض نفسه. قال (25):

لَا أَرْضِيَ الْبَاخِلَنْ خَلَّاً وَإِنْ	أَحَلَّهُ الْإِنْسَارُ فِي نُرْوِتِهِ
دَعَّةَ يَكَاثِرَ بِالثَّرَاءِ الْأَثَرِيِّ	قَاعِتِي أَكْثَرُ مِنْ نُرْوِتِهِ

وكشف الشُّعراَء عن شُكُورِ مُرِيرَة وعُمِيقِ حُزُن بسبَب قَلَة عطاءِ المَمْدوحِين، وبخَاصَّة إِذَا مَا كَانُوا مِن ذُويِّ الْفَضْلِ والرِّيَاسَة، فَهُذَا الْأَدِيب يُحِبِّ السَّرْقَسْطِيَّ الْمُعْرُوف بِالْجَزَارِ (ت 450هـ) يَقُرِّرُ العُودَة إِلَى مَهْنَةِ الْجَزَارَة بَعْدَ أَنْ أَيْقَنَ أَنَّ امْتِهَانَ الشِّعْرِ لَا يَجِدِي نَفْعًا وَلَا طَائِلَ مِنْهُ، وَتَكْشِفُ الْأَبْيَاتُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا عَنْ نَفْسِ حَزِينَةِ كَيْبَةٍ ضَاقَتْ بِهَا الدُّنْيَا عِنْدَمَا أَمْرَ الْحَاجِبِ ابْنِ هُودٍ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ حَسَدَى أَنْ يَوْبَخَهُ عَلَى صُنْعِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرَاجِعًا كَاشِفًا لِلشَّبَابِ، وَقَدْ عَزَّ ذَلِكَ إِلَى الْبَخْلِ الَّذِي اسْتَولَى عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ أَبْدَوُا نَفْرَةً مِنَ الشِّعْرِ بَسْبُبِ بَخْلِهِمْ. فَقَالَ (26):

وَمَنْ لَمْ يَذْرِ قَذْرَ الشَّيْءِ عَابَهُ
وَفَضَّلَكَ صَامِنْ عَنْكَ الْإِجَابَهُ
أَطْلَأْتَ عَلَى صِنَاعَتِهِ عِتَابَهُ
رَأَيْتُ الْبَخْلَ قَدْ أَوْصَى صِحَابَهُ
فَأَبْدَى لِي التَّحْيَلَ وَالْكَابَهُ
فَسَافَرَنِي وَغَلَظَ لِي حِجَابَهُ

تَغْيِيبُ عَلَيَّ مَأْلُوفَ الْقِصَابَهُ
أَبَا الْفَضْلِ الْوَزِيرِ أَجِبْ نِدَائِي
وَإِضَفَاءُ إِلَيَّ شَكُورِ شَكُورِ
وَحَقَّكَ مَا تَرْكَ الشِّفَرَ حَتَّى
وَحَتَّى زَرْتُ مُشَّ تَافَا خَلِيلِي
وَظَنَّ زَيَارَتِي لِطِلَابِ شَيِّهِ

وَشَكَا بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ مِنْ حَرْمَانِ الْتَّوَالِ، وَيَبْدُ أَنَّ أَغْلَبَ الْمَمْدوحِينَ كَانُوا يَفْتَقِرُونَ إِلَى صَفَةِ الْعَطَاءِ الَّتِي طَمَعَ فِيهَا الشُّعْرَاءُ، تَأْمَلُ مَعِي قَوْلَهُ فِي ذِمَّةِ الْفَقْرِ الَّذِي أَدْرَكَهُ وَأَلَمَّ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْبَخْلُ الَّذِي حَبَسَ عَنْهُ الْجَدَا، لِرَبِّمَا تَعُودُ عَلَيْهِ ذَلِكَ إِلَى الْطَّمَعِ، فَعَوْقَبَ بِالْحَرْمَانِ نَظَرًا لِعَدَمِ قِنَاعَتِهِ بِنَصْبِيهِ الْمُقْسُومِ، وَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَمْنَعَ الْبَخِيلُ النَّاسَ مَالَهُ، وَلَيْسَ بِمُسْتَغْرِبِ أَنْ يَبْذُلَ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْمَالَ رَغْبَةً فِي الْكَرْمِ وَالْعَطَاءِ (27).

إِلَى بُخْلِ مَحْظُورِ الْتَّوَالِ مَلْفُوعٍ
كَذَلِكَ مَنْ تَلْقَاهُ غَيْرُ قَافِعٍ
كَمَا بِذَلِكَ أَهْلِ الْفَضْلِ غَيْرُ بَدِيعٍ

فَرَزَتْ مِنَ الْفَقْرِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي
فَأَعْقَبَنِي الْحِرْمَانُ غِبَّ مَطَامِعِي
وَغَيْرُ بَدِيعٍ مَنْعِ ذِي الْبَخْلِ مَالَهُ

وَمِنْ عَجَبِ أَنْ يَقْفِي بَعْضُهُمْ مَوْقِفًا مَغَايِرًا خَالِفَ فِيهِ الطَّبْعَ أَوِ الدُّوْقَ الْخَاصَّ بِأَهْلِ الْعَصْرِ، وَمِنْ هُؤُلَاءِ أَثْيَرَ الدِّينَ أَبُو حِيَانَ الْغَرَنَاطِيِّ (ت 745هـ) فَقَدْ كَانَ دَائِمُ الْاِفْتَخَارِ بِبَخْلِهِ، كَمَا يَفْتَخِرُ غَيْرُهُ بِالْكَرْمِ، وَكَانَ يَقُولُ لِأَهْدَهُمْ دَائِمًا: "أَوْصِيكَ احْفَظْ دَرَاهِمَكَ، وَيُقَالُ عَنْكَ بَخِيلٌ، وَلَا تَحْتَجْ إِلَى السَّئْلِ" (28). وَأَنْشَدَ:

قَنْيَصَا رَجَاءُ الْنَّيَاجِ مِنَ الْعَقْمِ
إِذْنُ كُنْتُ مُعْتَصِّمًا مِنَ الْبُرْءِ بِالسَّقْمِ

رَجَاوُكَ فِسْـا قَدْ غَـدا فِي حَبـائـي
أَلْتَعَـبُ فِـي تَحـصـيـلـهـ وَأَضـيـعـهـ

وَمِنْ الْغَرِيبِ حَقًا أَنْ يَمْدُحَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ أَنفُسَهُمْ بِالْبَخْلِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا مِنْهُ مَوْقِفًا مُعَادِيًّا، كَقُولُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الطَّوَّبِيِّ (29):

بِحُـفـ ظـمـ مـالـ قـلـيـلـ
رـمـ مـنـ شـوـالـ الـبـخـيـلـ

يـا لـاـمـيـ فـيـ اـشـ تـغـالـيـ
الـبـخـ لـأـمـ لـبـالـخـ

فَالشَّاعِرُ هُنَا - يَدْعُو لِأَنْمِيهِ أَنْ يَكُفُّوا عَنِ الإِكْثَارِ مِنْ لَوْمَهُ لَأَنَّهُ مُنْشَغَلٌ فِي جَمْعِ مَالِهِ، مُبَيِّنًا أَنَّ الْبَخْلَ أَجَدِي نَفْعًا لِلْإِنْسَانِ الْحَرَّ، وَأَحْفَظُ لِكَرَامَتِهِ مِنْ إِرَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ وَسُؤَالِ كُلِّ مَنْ هُوَ بَخِيلٌ.

وقد وردت في شایا أشعارهم تحذيرات أكدوا خلالها على ذم الاجتداء من البخلاء، تأمل معى قول أبي محمد جعفر بن

الطّيّب الكلبي (30):

لَغَيْرِ سُؤَالِ كَانَ غَيْرَ جَمِيلٍ
وَلَا يُرْتَجِي لِجَوِيدٍ غَيْرُ بَخِيلٍ

وَحَقِّكَ لَوْ نَلَّتِ النَّوَافِلَ مَعْجَلًا
فَكَيْفَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَجْهَهُ مُؤْمَلٍ

رابعًا— تصوير البخلاء

1. بخيل المال

أوقع أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الطوبي نفسه في حالة من التناقض، ففي مقطوعة سابقة نجده يفضل البخل، غير أثنا في ثانية نجده يحارب البخل والبخلاء، فجاء بتصوير ساخر ممن اتصفوا بالبخل من ذوي الجاه والثراء، فحينما قصده زائرًا، تدارك البخيل الأمر معتقدًا أن هناك سببًا واحدًا دفعه إلى هذه الزيارة وهو طلب العطاء، والمُحرّك الأساسي وراء ذلك هو الطّمع، فجاء بتصوير ساخر من خلال رسم صورة مفرغة لحال ذلك البخيل مصوّرًا شدّة بخله وامتناعه عن الإنفاق، فكادت نفسه أن تفيض خوفًا من العطاء والشّاء. قال (31):

وَلَسْتُ فِي مَالِهِ بِذِي طَمَعٍ
فَكَادَ يَقْنُصِي مِنْ شِدَّةِ الْجَرَعِ

أَتَيْتُهُ زَائِرًا أَحَدِثُهُ
فَطَمَنَّ أَتَيْتُهُ أَتَيْتُهُ أَنْسَأَهُ

ومن جميل صوره قوله في صفة بخيل (32):

فَطَأْتُ فَقَأْتُ فِي عَرْضِ الْمَقَالِ
فَأَشَرَقَ لَوْنَةً مِثْلَ الْهَلَالِ

تَبَرَّمَ إِذْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ لَكِنْ
عَلَيَّ الْيَوْمَ نَذْرٌ فِي صِيَامِ

لا تخلو الصورة في هذه المقطوعة من سخرية مُضحكه في الإشارة إلى بخيل الطّعام، فحينما دخل عليه زائرًا تبرّم وعبس في وجهه، غير أنه الشّاعر بذلك قلب الحالة واستدرك الموقف مُذكّرًا أنه في ذلك اليوم نذر على نفسه بالصيام، وهذا من غير حال البخيل بعدهما استقبل ضيفه، فانفرجت أساريره، وتبدّلت حاله من عبوس وتوجهه، وبذا وجهه مشرقاً باسمًا كما الهلال إطلالة واشرقاً.

ومن الوفدين على الأندلس أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكير الذي رسم صورة رائعة استدعى فيها شخصيّتي مسيلمة وأشعب المشهورتين، قارنًا نفسه بأشعب إذ أعماء الجشع والطّمع في العدة التي وعدها إياه، ظنًا منه أنه صادق الوعد، ولذا فقد غلب عليه الطّمع وأخذ يضرب أخماصًا في أسداس مُفكّرًا في طبيعة الهدية، وكان كالقاعد على الجمر متوقّرًا متوجّسًا لليوم الذي سينال فيه العطية. أمّا شخصيّة مسيلمة فتتمثل في مين أخلف الوعد، فمن شيم ذلك المدوح الكذب في إخلف الوعد، والظاهر أنّ مدوحه كان مشهورًا في التسويف والمماطلة لدرجة أنّ الناس جميعًا باتوا يعرفون حقيقة ما دار بينهما، فإذا ما ضمّهما مجلس، تندّروا بالقول لقد اجتمع مسيلمة وأشعب معاً (33).

فَجَعَلْتُ مِنْ طَمَعِي أَجِيءُ وَأَدْهَبُ
قَالُوا مَسْلِيْمَةُ وَهَذَا أَشَبُ

وَوَعَدْتُنِي وَغَدَّا حِسْبَنِي صَادِقًا
فَإِذَا اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَشَبُ بِمَجْلِسٍ

وللجزأر السرقسطي مقطوعة أظهر فيها شدة بخل مَنْ يَضْنَ بِمَالِهِ حَتَّى عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ بَلَغَ بِهِ الْمَرْضُ مُبْلِغَهُ، فَيُرَفِّضُ أَنْ يَنْفَقُ وَلَوْ بِشَيْءٍ قَلِيلٍ مِنْهُ فِي سَبِيلِ الْإِبْلَالِ مِنْ مَرْضِهِ، فَيَبْخُلُ عَلَى الطَّبِيبِ، وَيَأْخُذُ فِي مَسَاوِمَتِهِ عَلَى الْأَجْرِ مَعَ أَنَّهُ سَلَّمَ رُوْحَهُ إِلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ لَمَا ذَهَبَ إِلَى الطَّبِيبِ حَرَصًا عَلَى النَّمَسُكِ بِالْدِينَارِ وَالرَّهْمِ، يَقُولُ (34):

عَجِبْتُ لِذِي سَقْمٍ مُغْضِلٍ
يَسْرُومُ الطَّبِيبَ وَيُئْدِي عَلَيْهِ
وَيَجْعَلُ مُهْجَّةً فِي يَدِيَهِ
عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِدِينَارِهِ

وَمِنَ الصُّورِ الرَّائِعَةِ فِي تَصْوِيرِ الْبُخْلِ تِلْكَ الصُّورَةُ الَّتِي اسْتَهْضَرَهَا سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّدِيِّ بِقَوْلِهِ (35):

كَانَ مُرْجِيَّهِ الْمُؤْمَلَ وَاقِفُّ
عَلَى طَلَلِ مِنْ سَاكِنِيِّ الْحَيِّ بَائِدًا
كَمْسُ تَحْبِرِ جَهْلًا رُسْرُومُ الْمَعَاهِدِ
يُسَائِلُ مِنْهُ صَامِدًا غَيْرَ نَاطِقِ

تَظَهَّرُ الْمَقْطُوعَةُ بِمَا فِيهَا مِنْ سُخْرِيَّةٍ تَصْوِيرًا رَائِعًا لِذَلِكَ الْبُخْلِ وَإِنْ كَانَتْ فِي حَقِيقَتِهِ تُرْكِزُ عَلَى السَّائِلِ أَوِ الْمُعْتَفِيِّ، فَفِضَاءُ الْلَّوْحَةِ يُشَيِّي بِطَبِيعَةِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ انْتَجُوهُمْ، فَكَأُنْهُمْ يَسْكُنُونَ قُفَّرَاءَ بِلَقْعًا لَا حَيَاةَ فِيهَا، وَكَأُنْهُمْ دُمَى أَوْ رَسُومٍ بِالْهِيَّةِ، وَتَجَلَّى هَذَا الْمَشْهَدُ فِي مَوْقِفِ طَالِبِ الْنَّوَالِ الَّذِي بَدَا وَاقِفًا مَتَّأْلِلًا وَكَأُنْهُ يَقْفُ عَلَى دِيَارِهِ قَدْ عَفَتْ وَخَلَتْ مِنْ سَاكِنِيهَا، وَلَهُذَا تَمَلَّكَتْهُ الْحِيرَةُ وَأَخْذَ يَسَائِلَ نَفْسِهِ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يَقْفُ فِيهِ، فَلَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا مُجِيبٌ. وَقَدْ بَرَعَ الشَّاعِرُ فِي التَّصْوِيرِ مِنْ خَلَلِ إِشَارَتِهِ فِي صَدِرِ الْبَيْتِ الثَّانِي إِلَى مَطْلَبِهِ مِنْ ذَلِكَ الْبُخْلِ، وَهُوَ أَنْ يَعْطِيهِ مَا لَا صَامِدًا لَا نَاطِقًا مِنْ حَيَاةٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَلَمْ يَنْلِ مِنْهُ لَا هَذَا وَلَا ذَاكُ، وَجَاءَ عَجَزُ الْبَيْتِ الثَّانِي عَلَى هِيَةِ مَثَلٍ ضَرِبَهُ لِمَنْ يَقْفُ فِي دِيَارِ بَعِينِهِ، وَيَنْتَظَاهُرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَصُلْ إِلَيْهَا بَعْدُ، أَوْ أَنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ يَحِيَّيِّ بْنِ الْحَكَمِ الْغَزَالِ فِي ذَمِّ رَجِلٍ يُدْعَى خَالِدًا (36):

قَصَدْتُ بِمَذْحِي جَاهِدًا نَحْوَ خَالِدٍ
فَأَلْمُ يُعْظِنِي مِنْ مَالِهِ غَيْرَ دَرْهَمٍ
كَمَا اقْتَلَعَ الْحَجَّامُ ضَرْسًا صَحِيْحَةً
أُوْمَلُ مِنْ جَذْوَاهُ فَوْقَ مَئَائِي
تَكَلَّفَهُ بَعْدَ اِنْقِطَاعِ رَجَائِي
إِذَا اسْتَخْرَجْتُ مِنْ شَدَّةِ بِكَاءِ

رَسَمَ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْلَّوْحَةِ صُورَةً سَاحِرَةً لِلْمَهْجُوْرِ بَعْدَ أَنْ أَعْظَمَ أَمْلَهُ فِي نَيلِ الْأَمَانِيِّ مِنْ خَالِدٍ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَحْظِ سُوْيِّ
بِدَرْهَمٍ حَقِيرٍ بَعْدَ طَوْلِ عَنَاءٍ وَمُشَقَّةٍ وَكَبِيرِ جَهْدٍ، وَيَكْشِفُ الْبَيْتُ الْثَالِثُ عَنْ صُورَةٍ مَضْحِكَةٍ تُشَيرُ إِلَى السُّخْرِيَّةِ وَالضَّحْكِ مِنْ تِلْكَ الْحَالِ،
إِذْ قَرَنَ حَالَهُ بِحَالِ الْحَجَّامِ الَّذِي انْتَرَعَ ضَرْسَهُ صَحِيْحَةً بَعْدَ عَنَاءٍ طَوِيلٍ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْفَرْجِ الرِّشَاشِ هَاجِيًّا أَحْدَهُمْ (37):

إِنَّكَ لَا تَغْرِي رِفْ الْجَمِيْلَ لَ وَلَا
إِنَّ الَّذِي يَرْتَجِي تَدَاكَ لَكَالْ
ثُرْقُ بَيْنَ الْقَبْيَنِيْجِ وَالْحَسَنِ
حَالِ بَيْسَا مِنْ شَهْوَةِ الْأَبَنِ

كَشَفَ الْبَيْتَانِ عَنْ تَصْوِيرِ رَائِعٍ فِي ذَمِّ بَخِيلٍ عَدِيمِ الْفَهْمِ، وَبَدَا الشَّاعِرُ غَاضِبًا أَسْفًا عَلَى مَدْحَهُ الَّذِي وَضَعَهُ فِيمَنْ لَا
يَسْتَحِقُ، مُشَيْرًا إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَمْدُوحَ لَا يَعْرِفُ الْإِحْسَانَ وَلَا الْمَعْرُوفَ، لَا بَلْ لَا يَمْيِيزُ بَيْنَ الْغَنَّ وَالسَّمَمِينِ، وَالْقَبِيْحِ وَالْحَسَنِ، وَقَدْ أَجَادَ
الشَّاعِرُ فِي تَوْظِيفِ مَثَلِ "حَالِبِ التَّيْسِ" الَّذِي يُضَرِّبُ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ، وَمَنْ يَرْجُو مِنْ لَا يُجَدِّي. وَقَدْ عَبَرَ عَنِ اسْتِحَالَةِ
الْحَصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ نَوَالِ مَمْدُوحِهِ لِشَدَّةِ بَخْلِهِ مُسْتَعِيًّا بِمَا جَرَى مَعَ حَالِبِ التَّيْسِ.

وَرَسَمَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صُورَةً رَائِعَةً لِلْنَّاسِ فِي عَصْرِهِ، إِذْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْبُخْلُ، وَلَنْ يَسْتَطِعَ أَيُّ إِنْسَانٍ أَنْ يَحْصُلْ عَلَى شَيْءٍ
مِنْ عَطَائِهِمْ، فَهُمْ أَشَبُهُمْ مَا يَكُونُونَ بِالْحَجَّارَةِ الصَّمَاءِ بِسَبِيلِ بَخْلِهِمْ، لَا بَلْ الْحَجَّارَةُ أَهُونَ قَلِيلًا مِنْ شُحْهَمِهِمْ، قَالَ (38):

تَفَجَّرَ مِنْ صُمَّ الْحِجَارَةِ مَاءً (39)
 لَمَّا ابْجَسَثِ مِنْ صَرْبِهِ الْبُخَلَاءُ (40)
 عَأْيَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ عَفَاءُ

جِهَارَةُ بُخَلٍ مَا تَجْفُدُ وَرَبَّمَا
 وَأَنْ مُؤْسَى جَاءَ يَصْرِبُ بِالْعَصَمِ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ تَجْفُدَ أَكْفَهُمْ

بصوَرِ الشَّاعِرِ النَّاسَ بِأَهْمَمِ قُسَّاَةِ الْقُلُوبِ كَالصَّخْرِ الْجَلِيدِ، لَا تَلِينُ قُلُوبُهُمْ وَلَا تَرْقُ، وَيَسْتَحْضُرُ عَصَمُ مُوسَى لِتَتَدَحَّلُ فِي الصُّورَةِ قَارِنًا فَعَلَهَا فِي الْحِجَارَةِ الصَّمَاءِ الَّتِي تَفَجَّرَتْ مِنْهَا عَيْنُ الْمَاءِ بِكُلِّ سُخَاءٍ، غَيْرُ أَنَّهَا لَمْ تَلْعَجْ هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي أَنْ تَفَجَّرْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَلَوْ شَفِّتْ بِهَا قُلُوبَهُمْ لَمَّا أَخْرَجَتْ مِنْهَا مَثَلَ دَرَّةِ الْنَّوَالِ وَالْعَطَاءِ.

وَتَكْشِفُ مَقْطُوْعَةً أُخْرَى مِنْ مَزْجِهِ الْهَجَاءِ بِالسُّخْرِيَّةِ، وَبِثَّ شَكْوَاهُ وَتَنَمُّرَهُ مِنْ جُورِ الرَّمَانِ، وَالسَّبِبُ فِي ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى الْمَطْلِعِ وَالنَّسْوِيَّفِ فِي الْعِدَّةِ مَمَّنْ مَدْحُومُهُمْ، فَتَلَمُّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الرَّمَانِ، وَنَعْتَهُمْ بِأَقْبَحِ الْأَلْفَاظِ، فَقَدْ تَبَدَّلَتِ الْطُّرُوفُ وَسَاعَتِ الْأَحْوَالُ، وَسَادَ الْعَبِيدُ، وَعَاثَتِ الْذِنَابُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَتَوَرَّعَتِ الْكَلَابُ لِتَمَلِّأِ الْأَرْضَ، وَانْقَطَعَ الْخَيْرُ مِنَ النَّاسِ، وَضَاعَ الْوَفَاءُ، وَعَمَّ الْمَطْلِعُ وَالنَّسْوِيَّفُ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ فِي الْحَصُولِ عَلَى عَدَةٍ حُطُّتْ بِأَيْدِيهِمْ، وَكَثُرَتِ مَوَاعِيدهُمُ الَّتِي أَصْبَحَتْ سَرَابًا. وَيَرِي الْبَاحِثُ أَنَّ فِي هَذَا إِسَاعَةً كَبِيرَةً لِأَهْلِ عَصْرِهِ، إِذْ وَصَفَهُمْ بِالْعَبِيدِ وَالْذِنَابِ، فَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونُوا جَمِيعًا هَكُذا، كَمَا أَنَّهُ سَخَرَ مِنَ الدَّهْرِ وَبِدَا نَاقِمًا عَلَيْهِ نَقِمًا شَدِيدًا، تَأْمَلُ مَعِي قُولَهُ فِي رَجُلٍ كَتَبَ إِلَيْهِ بِعَدَّةٍ فِي صَحِيفَةٍ وَمَطَّلَّهُ بِهَا (40):

وَوَعَدَ مُثْلُ مَا لَمَعَ السَّرَابُ
 وَمَطَلُّ مَا يَقُومُ لَهُ حَسَابُ
 وَعَاثَتْ فِي جَوَابِهِ الْذِنَابُ
 وَدُنْيَا قَدْ تَوَرَّعَهَا الْكَلَابُ
 لَقَالُوا: عَنْدُنَا انْقَطَعَ التُّرَابُ
 وَإِنْ يُحْسِنْ فَإِيْسَنْ لَهُ تَوَابُ

رَجَاءُ دُونْ أَقْبَلَهُ الشَّهَابُ
 وَتَسْ— وَيْفُ يَكِلُ الصَّبْرُ عَنْهُ
 وَدَهَرُ سَادَتِ الْغَبَادَانُ فِيهِ
 وَأَيَّامُ خَلَتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ
 كَلَابُ لَسْوَ سَأَلَتْهُمُ تُرَابُهَا
 يَعَاقِبُ مَنْ أَسَاءَ الْقَوْلَ فِيهِمْ

وَمِنْ طَرِيفِ مَا ذَكَرَ ابْنُ خَاتَمَةَ (ت 770هـ) أَنَّ بَعْضَ الشُّعُرَاءَ اسْتَمْنَحُ بَعْضَ الْبُخَلَاءِ، فَأَعْطَاهُنَّ نَزْرًا، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ

رَحْمَةِ فَرَسِ أَصَابِتِهِ، فَقَالَ (42):

مِنْ تَيْلٍ مُمَتَّدٍ وَرَمَحٍ جَوَادٍ
 بِالسِّينِ أَمْ فِي صُرَّةِ الْصَّادِ؟

مَا إِنْ دَرَى ذَاكَ الْذَّمِينُ وَقَدْ شَكَّا
 هَلْ يَشْتَكِي وَجَعًا بِهِ فِي سُرَّةِ

بَنِي الشَّاعِرِ عَلَى اعْتِذَارِ ذَلِكَ الْبَخِيلِ صُورَةً مُضْحِكَةً، بَيْنَ فِيهَا مَوْقِعُ الرَّجُلِ وَشَدَّةُ بَخْلِهِ مُنْتَهِيًّا لِلْفَرَصَةِ فِي الشَّكْوَى وَالْأَلْمِ لِلْمَالِ الَّذِي أَنْفَقَهُ عَلَى تَلَكَ الْمَدْحَةِ مِنْ نَاحِيَةِ، وَالشَّكْوَى مِنْ رَمْحِ الْفَرَسِ لَهُ. وَقَدْ بَرَعَ الشَّاعِرُ فِي مَقَارِبَةِ الصُّورَةِ بِأَسْلُوبِ فَكَاهِيِّ سَاحِرِ عَبْرِ التَّلَاعِبِ بِالْأَلْفَاظِ، مِنْ خَلَالِ إِبَالِ السِّينِ فِي لَفْظَةِ (سُرَّةِ)، صَادًا لِتَصْبِحِ (صُرَّةِ)، وَفِيهَا يَكْمَنُ الْمَغْزِيُّ مِنَ الْأَلْمِ وَإِظْهَارِ التَّوْجُعِ، فَلَمْ تَؤْلِمْهُ الإِصَابَةُ فِي سُرَّةِ بَطْنِهِ بَقْدَرِ مَا أَلْمَهُ أَنَّهُ مَدَّ يَدَهُ إِلَى صُرَّةِ مَالِهِ لِيُخْرِجَ مِنْهَا نَزْرًا قَلِيلًا.

2. بَخِيلُ الطَّعَامِ

سَخْرَةِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ مِنْ طَعَامِ الْبُخَلَاءِ، فَقَالَ (43):

نَقَّ كَمَّا نَقَّ بِإِنْ يُنْكَرَا!

طَعَامٌ مَنْ لَسْتُ أَمَّةً ذَاكِرًا

لَا يُفْطِرُ الصَّائِمُ مِنْ أَكْلِهِ
فِي وَجْهِهِ وَمِنْ أَوْمَهِ شَاهِدِهِ
أَنْمَ تَعْرِفُ الْمَغْرُوفَ أَعْوَالَهُ
لَكَنَّهُ صَفْمُ لَمْ مِنْ أَفْطَرَهَا
يَكْفِي بِهِ الشَّاهِدُ أَنْ يُخْبِرَهَا
قَطْكَمَ الْمَمْ يُنْكِرُ الْمُنْكَرَهَا

فهذه الأبيات مغففة بقالب من السخرية من المهجو دون أن يصرح بذكر اسمه، فهو لا يقدّم على مائدته شيئاً يذكر، والصائم يبقى على حاله صائمًا دون أن يفطر بل يظل جائعًا، والمفطر يظل كذلك صائمًا قسراً، غير أن صيامه هذا دون أجر، وممّا يزيد الأمر تعقيداً لوم ذلك البخيل الذي يرى في قسمات وجهه، كما أنه لم يقدّم يوماً صنيعًا أو معروفاً حتّى يُحمد عليه.

وقال إسماعيل بن بدر هاجيًا بخيلاً ومحنةً (44):

تَنْفَسَ لَمَّا لَاحَظَ الْقَوْمُ حُبْرَهُ
فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّا شَبَاعٌ فَجُذِّلَهُ
فَأَسْ مَعْنَا دَرْدَاءَ صَلَاعَةَ رَجَعَتْ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي كِلَابٌ تَهَارَشَتْ
وَقَطَّبَ لَمَّا لَامَسَتْهُ الْأَصَابِعُ
بِغُوفٍ فَمَا فِي الْقَوْمِ غَيْرَكَ جَائِعٌ
بِصَوْتٍ لَهَا تَشَتَّكَ مِنْهُ الْمَسَامِعُ
بِخُلْفُهُمْهُ أَمْ نَفَّثَتْ بِي صَفَادُعُ

تقدّم المقطوعة تصوّرًا ساخراً للبخل من خلال الكشف عن نفسيّة صاحبه من ناحية، فهو يمقت من يأتي لزيارته وبخاصة لحظة تقديم الطعام، ويكشف قوله "تنفس" و "قطب" عن حالة من السخط والتّبرّم والعبوس في وجه الضّيوف، وبخاصة عندما أنكر عليهم فعلم في ملاحظته عندما مذيده لأخذ كسرة، وتجلى ذلك بقوله "لاحظ"، و "لامسته"، وتكشف الصورة بعدًا نفسيّاً آخر لهذا البخيل، فهو خائف من أين يشاركه أحد في طعامه، وهذا ما لا تستسيغه نفسه.

وينصرف الشّاعر عن تجلّيات هذا المشهد في محاولة منه لإظهار صورة أخرى من صور بخل ذلك الرجل، فالضّيوف يعلنون أنّهم لا يرغبون في مشاركته الطعام، وإنّما يرغبون في سماع صوت مغينيّته التي تحمل السمات نفسها التي يحملها هو، بخله دفعه إلى اقتتاء مغينيّة اجتمع فيها خصلتان: قبح المنظر وبشاشة الصوت.

وقد عكست اللوحة بعدين: نفسياً ومعنىًّا، وأخر حسّياً، تمثل الأول في الشح والبخل في نفس البخيل، وقبح صوت المغينيّة فهو أشبه ما يكون بتفيق الصفادع أو هراش الكلاب، وأمّا الثاني فتجلّى في قبح شكلها فهي هرمة تساقط أسنانها، وتناسل شعرها، وما من شك في أن الدافع وراء اقتتاء الرجل لمثل هذه المغينيّة هو البخل.

وسخط ابن عبد ربه على البخلاء وهجاهم بأذع هجاء، وعاب عليهم المطل وخلف الوعد، لا بل عرض بهم وبذبهم،

ومن ذلك قوله في رجل كتب إليه بعده في صحيفة ومطله بها (45):

صَحِيفَةَ طَابِعَهُ لِلْأَوْمِ
أَهْدَاكَهَا وَالْخَافِ فِي طَيِّهِ
مَنْ وَجْهَهُ نَحْسُ، وَمَنْ قُرْبَهُ
لَا تَهَضِّمْ إِنْ كُنْتَ صَيْفَا لَهُ
تَلْمِيَةَ الْأَلَحَاظِ مِنْ رَقَّةِ
لَا تَأْدِمْ شَيْئًا عَلَى أَكْلِهِ
عُنَوَّهُهَا بِالْبُلْهُ لِمَخْتَرِهِ
وَالْمَطْلُنَ وَالشَّوِيفُ وَاللَّوْمُ
رِجَسُ، وَمَنْ عِزَّائِيَّهُ شُرْفُ
فَحُبْرَهُ فِي الْجَرْفِ هَاضِفُ
فَهُوَ بِالْأَخْذِ الْعَيْنِ مَهْلَكُ
فَإِنَّهُ بِالْجَوْعِ مَأْدُومُ

فاللّوحة ترسم صورة ساخرة مضحكة لمضمونها أولاً: فهي للبخل عنوان، وتحمل في طياتها الخلف والمطل والشّويف واللّوم، وتنتئ عن وجه صاحبها ثانياً: فوجّهه يجلب التّحس، والقرب منه رجس، ومعرفته شؤم، ويمضي الشّاعر في سخريته مشيراً أنّ طعامه لا يهضم أو يُستساغ، وذلك لأنّه دائم النّظر إلى ضيوفه بنظراته الجارحة المؤلمة، ويُوصي من يفكّر في زيارته أنّه لن يأكل شيئاً؛ لأنّ الجوع سيكون طعامه وإدامه، وفيها أيضاً توجيه إلى تجنب تناول الطّعام عند هذا البخيل. وتُظهر الصّورة بعدها نفسياً في تبيان موقف البخلاء من الصّيوف، إذ يلجأون إلى إظهار التّبرّ والعبوس، كما أنّهم يديرون النّظر إليهم ويراقبون حركاتهم وبخاصة عند تناول الطّعام، وهذا من النّصّرفات الممقوّة التي يجب الابتعاد عنها على وجه الخصوص.

وقال ابن وهب متقدّراً على مائدة أحدّهم في أسلوب ساخر (46):

وَمَاءِ دَهْ جِسْ مُهَا لَطْفَةَ
يَدُلْ عَلَى صَفَقَةِ خَاسِرَةَ
فَتِلْكَ لَنَاقَةُ عَنْ دَهْنَقَةَ
وَنَخْنُ عَنْهَا أَنْرَى دَائِرَةَ

تكشف الصّورة عن سخريّة ضاحكة من تلك المائدة التي صنّعها ذلك البخيل، فهي صغيرة مستديرة، نحيلة رقيقة الجسم، وهذا ينبيء عن خسارة من يأكل عليها، لأنّها لا تتسع لشيء من الطّعام، والّتّأذّر إلى الحاضرين وقد تحلّقوا حولها يرى أنّها نقطة مركز الدّائرة التي شكّلوا لها التّلّفوا حولها، وهي بالكاد تبيّن للّمّاظرين.

وتقدّر أحمد بن محمد بن فرج الجياني المعروف بالبلّاري على بخيل أكول يُدعى حامداً بن محمد، وقد عُرف عنه بخله وتقديره، فقال حاجياً له (47):

فَعَلَ اللَّائِنِمْ وَلَيَتَهُ لَمْ يَفْعَلِ
وَأَتَى بِفَعْلِ مِثْلَهُ لَمْ يَجْعَلِ
ذَبَحَ الصَّفَادِعَ فِي الصَّنِيْعِ وَلَمْ يَدَعِ
لِلَّمْلِ جَارِحَةَ لَا لِقَمَلِ
وَقَعَتْ لِتَكْمِلَ شَبْعَهُ لَمْ تُكْمِلِ
وَضَعَ الطَّعَامَ فَلَأُوْعَلَّهُ دُبَابَةَ
مِنْ دِقَّةِ وَدَمَامَةِ مِنْ حَرْذَلِ
وَكَانَ فَتَرَةَ صَخْفَةَ عَنْ صَخْفَةِ
فِي الْبَعْدِ وَالْإِبْطَاءِ فَتَرَةُ مَرْسَلِ

تكشف الصّورة عن أشدّ حالات البخل، فصاحبها لئيم في الطّبع والصّنّيع، فهذا الأكول يأتي على كلّ شيء أمامه، ويأكل أيّ شيء، فما من أحد يجرؤ على أكل الصّفادع، وممّا زاد الصّورة قتاماً وسواها في أنّه مسح الصّفحة مسحًا، ولم يدع للّمّل أو القمل مقيلاً فيها، لو فكرت الذّبابة بال الوقوع على طعامه لكان قد سقطت ضحّيّة هي الأخرى وأتى على أكلها.

3. التّندر على البخلاء

أكثر الشّعراء من رسم صور تهكميّة ساخرة من البخلاء وتصوّر هيئاتهم ونفسياتهم حين سؤالهم، ولا تخلو تلك الصّور من فُكاهة وظرفية تنقل لنا حقيقة المشهد، وتدفعنا للتأمّل والتخيل للصّورة المرسومة. تأمّل معّي قول مؤمن بن سعيد مُصوّراً هيئة بخيل أنشده شعراً (48):

أَلَا رَبَّ مَنْ أَشَنَّهُ فِي هِ مِنْهِ
وَأَطْرَقَ حَتَّى قُلْتَ قَذْمَاتَ أَوْ بَدَا
تَّأَوَمَ عَنْ مَذْحِي كَأَيِّ سَقَيَةَ
بِمَذْحِي إِذَا أَشَنَّهُ الْمَذْحَ مِنْقَدَا

ينقل البيتان صورة رائعة لمشهد نتصوره وكأنه ماثل أمامنا ونراه رأى العين، إذ تكشف الصورة السمعية في قوله "أطرق" عن موقف يظهر فيه الاستغراب والتعجب الذي استولى على المدحوب، فبدا كأنه تمثال لا روح فيه، ويكشف البيت الثاني محاولة المدحوب التهرب من تقديم العطاء للشاعر من خلال النّظاهر بأنّه نائم، وفي هذا حيلة واضحة لمحاولة التخلص من مكافأة الشاعر، كأنه قد سقاه خمراً بمدحته تلك واستسلم إلى نوم عميق.

وقد تتدبر الشّعراء على المشاهير من البخلاء، ومن ذلك الحوار القصصي الذي أجراه عبد الله ابن يوسف بن رضوان المالقى، واصفًا ما جرى بينه وبين بخيل دعى لسكنى الجنان، فأبى رافضًا ترك داره؛ لأنّه خزن فيها ماله الذي لا يستطيع التفريط به، فيرد عليه الشّاعر بالقول إنّ في مقاله عين الصّواب، وألا يسمع إلى كلّ خبيث ماكر يرغبه في ترك داره، والأولى أن يبقى ساكنًا داره التي خزن فيها ماله، ولا يستبدلها بجنان النّعيم. يقول (49):

مَنْزِلٌ بِالْجَنَانِ صَنَنْ بِذَاكِ جُلُّ مَالِي فَلَسْتُ لِلْدَّارِ شَارِكِ قَوْلٌ خَبِّ مَرْغِبٌ فِي اِنْتَقَالِكِ وَلَئِنْ سَاكِنًا بِمَخْزَنِ مَالِكِ	وَبَخِيلٌ لِمَمَا دَعَوْهُ لِسْنَئِ قَالَ: لِي مَخْزَنٌ بِذَارِي فِي هِ قُلْتُ: وُقْفَتَ لِلصَّوَابِ فَخَافَزِ لَا تُعْرِجْ عَلَى الْجَنَانِ بِسْنَئِ
---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

خامسًا- الدّعوة إلى الإنفاق والبذل ونّم الحرص

ربط شعراء الأندلس بين البذل والبخل في كثير من أشعارهم، فكلّا هما متلازمان لا تتفكّر عراهما أبداً، ونظراً لأنّ الكرم أجدى وأسمى وأندلى، فقد خلّد الشّعراء مأثر الأفاضل الأكابر من ذوي الهم العالية الذين أطلقوا أيديهم في الخير والإحسان، وأفّنوا أموالهم في الأعمال التي تخلّد ذكرهم أبد الدّهر، ولذا رفع نفر من الشّعراء لواء الدّعوة إلى الكرم والسخاء والمحامد التي تُبقي الذّكر خالداً في نفوس الناس على مدى تعاقب الدّهور والأزمان، وراحوا يدعون إلى الإنفاق بسخاء، وأخذوا يذمّون الحرص، ويحضّون على تقويض الأمر إلى الله عزّ وجلّ، فهو الذي تكفل بالرّزق، وعليه فلا داعي للخوف من إقلال أو فقر.

تأمّل معنى قول ابن خاتمة في الحثّ على العطاء (50):

قَبْلَ تَرْخَالِهِ وَنَأِيَ مَحِلَّهُ وَقِرَى ابْنِ السَّبِيلِ تَجْهِيزُ رَحِلَّهُ	ابْنَذِلُ الْمَمَالِ لَا ثَبَالِ بِبَذِلَهُ إِنَّمَا الْمَمَالُ عَنْكَ ابْنُ سَبِيلِ
---------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------

فالشّاعر يدعو إلى العطاء دون حدود قبل أن يذهب المال، مثبّثاً المال بابن السّبيل المغادر على عجل، فلا بدّ من إكرام هذا العابر والإحسان إليه قبل أن يجهّز نفسه راحلاً، ولعمري لقد أجاد ابن خاتمة الربط بين ذهاب المال حال بذله دون مبالاة أو تفكير بالعواقب قبل أن يرحل ينأى عن صاحبه، قارناً ذلك بابن السّبيل الذي لا بدّ أن يُكرم ويُحسن إليه، قبل أن يمضي مسافراً إلى مبتغاه. ولابن خاتمة مقطوعة أخرى في نّم الحرص والحظّ على التّقويض (51):

لِرُفْضِكَ الْحِرْصَ هُوَ الْخَيْرُ لَكِ هُوَ الَّذِي بِفَضْلِهِ اسْتَقْبَلَكِ فَمَنْ بِالْعُفْوِ وَلَحْتَارَ لَكِ مُرْتَضِيًّا مِنْهُ بِمَا حَقَّ لَكِ	يَا غَادِيَا فِي حِرْصِهِ رَاهِحًا لَمْ تَذَرْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَرَاكَ مُضْطَرًّا طَرَا بِلَا قَوْةٍ فَقَرَضَ الْأَمْرَ لِتَذَبَّرْ ذِيْهِ
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

وَكُنْ كَمَا كُنْتَ لَمَّا أُولَئِكَ الْآنَ كَمَا كَانَ لَكَ

ومن لطيف ما قيل في الدّعوة إلى البذل، ما كتبه ابن قزمان (ت 554هـ) على باب جنته (52):

كَيْرُ الْمَالِ يَبْلُغُهُ فَيُفْلِي
وَقَدْ يَبْقَى مَعَ الْجُنُودِ الْقَلِيلِ
وَمَنْ غَرَسَ ثَيَاهَ ثِمَارَ جُنُودِ
فَفِي ظِلِّ التَّنَاءِ لَهُ مَقْيَلٌ

هذا النّمط من التّقوش والكتابات التي انتخبها أصحابها تمثّل مبدأ خاصاً في الحياة، وفلسفة خاصة ب أصحابها، وإن تعددت أشكالها وتتوّعّت مضامينها، من آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وأقوال مأثورة، وعبارات دالة على الاعتبار والعظة من الموت، أو أبيات شعرية تترجم لنفسية قائلها في ذلك الوقت.

والنّاظر إلى ما خطّه ابن قزمان يدرك توجّهه الدّاعي إلى بذل المال كرماً وجوداً، ودعوة إلى الإنفاق والتّمتع بذلّات الحياة، فالمال حتّماً سيؤول إلى النّفاد، ولا يبقى منه إلّا القليل، غير أنَّ التّرجمة العمليّة تكون في النّتيجة، فمن يغرس شجرة الكرم فإنّها حتماً ستطرح أفضل الشّمر المقرّون بالثناء الدائم على صاحبه.

سادساً- الدّعوة إلى الرّهود وإطلاق الحكم

أكثر نفر من الشعراء الدّاعوة إلى الاعتبار من الحياة الغادرة، معتمدين في ذلك على فلسفة الحياة التي أمدّتهم بقصص سالفة فيها معتبر، عبر استحضار بعض الشخصيّات التي خلّتها الّذّهور لفروط كرمها من ناحية، أو الاقتباس من الآيات القرآنية التي تشير إلى عدم البخل والتّمسّك بمباهج الدنيا الفانية.

ونقرأ في إحدى مقطوعات السّميسير ميلاً واضحاً إلى الرّهود وإطلاق الحكم، قال (53):

الْمَالُ دُلُّ وَدُلُّ
الْمَالُ دُلُّ وَدُلُّ
فَأَحْرِصَ كَأَكَّ بَاقِ
فَأَحْرِصَ كَأَكَّ بَاقِ
وَاقْفُ فِي أَكَّ فَانِ
وَاقْفُ فِي أَكَّ فَانِ

للّّاشر فلسفة خاصة في النّظر إلى المال، فهو من ناحية يجلب الذّل لصاحبها، ومن ناحية أخرى رؤية الإنسان بلا مال مذلة له، وليس للمرء إلّا القناعة. ومن لطيف الحكم قول أبي بكر ابن الجزار السرقسطي (54):

ثَنَاءُ الْفَقَرِيَّ يَبْقَى وَيَقْنُى ثَرَوْفَهُ
فَلَا تَكْتُسِبُ بِالْمَالِ شَيْئاً سِوَى الْتِذْكُرِ
فَقَدْ أَبْلَتِ الْأَيَامُ كَعْبَاً وَحَاتِمَاً

رّكّز الشّّاعر على أنَّ ذكر المرء هو الذي يبقى خالداً أبداً الّذّهور، أمّا المال فمضيره الفناء، وأقدّ أجداد في استحضار شخصيّتين محبوبتين تعنّي بوجودهما كثيّر من الشّعراء؛ لأنّهما من كرام العرب الأنسخاء، وهما: كعب بن مامّة، وحاتم الطائي وتعجب ابن أبي الصّلت في حكمة له أطلقها ليخذّر ممّن يحزن على نقصان ماله، ولا يحزن على نقصان عمره خوف الفقر، وهذا الذي يشّيه عن القيام بما يرومّه، وما من شكٍ في أنَّ الخوف من الفقر هو الفقر بعينه. قال (55):

ثُقَّرْ فِي ثُقَصَانِ مَالِكَ دَائِمَّاً
وَتَعْقَلْ عَنْ ثُقَصَانِ حِسْمِكَ وَالْعُمْرِ
وَخُوْفَكَ حَالَ الْفَقْرِ شَرِّ مِنَ الْفَقْرِ

وقد تعجب ابن جبير من أحوال الإنسان وطمعه وحرصه على التمسك بالدنيا، فقال (56):

عِجْبٌ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ ثُطْمَعَةُ
فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ الْمُحْلَفُ يَقْطَعُهُ
أَعْمَى الْبَصِيرَ وَالْأَمَالَ تَخْدَعُهُ
وَقَدْ تَيَّقَنَ أَنَّ الْأَذْهَرَ يَضْرِعُهُ
وَقَدْ دَرَى أَلَّهُ لِلْفَيْرِ يَجْمَعُهُ
وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دِينِ يُضْيَعُهُ
مِنْ أَنْفَقَ الْعُمَرَ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ

العجب كُلُّ العجب من طمع الإنسان وحبه للدنيا الزائلة، فيمضي حياته أعمى البصر والبصيرة وقد خدعته الآمال، واغتر بالذهب الذي لا يؤمن جانبه، إذ عرف عنه الغدر فلا ينبعي أن يوثق به أبداً، فسرعان من ينقلب عليه ويقضي عليه. وكذلك تعجب من حرص الإنسان في جمع المال غير أن ذلك المسكين لا يدري أنه يجمع لغيره لا لنفسه، وتعجب من حرصه وإشغاله على تضييع دراهمه، في حين أنه لا يحزن على تضييع دينه، وهذا من أشد الناس شقاء؛ لأنَّه أضاع العمر سدى في أمور لا تكسيه حمداً أو ثناءً.

ومن جميل حكم أبي محمد غانم بن وليد المخزومي الماليقي (57):

لَلَّادُ لَهُ يَجْهَهُ لَنْ مَقْدَرَهَا
فَلَا تَثْقُبُ بِالْمَالِ مِنْ عَيْرِهَا
الْأَمْنُ وَالصِّحَّةُ حَمَّةُ وَالْقُوَّةُ فُؤُثُ

رَكَّز الشاعر على ثلث خلال ذات مقدار كبير غير أنَّ معظم الناس يجهلونها، ويجهلون كذلك قيمتها، وهي: الأمان، والصِّحة، والقوت. وفي الوقت نفسه حذر من عدم الوثوق بالمال وإن كان دُرُّ وياقوتاً، وما قيمة المال إذا كان الإنسان يفتقر إلى الأمان، أو الصِّحة، أو يحرم نفسه من الغذاء طمعاً وتقتيرًا في كنوز الأموال.

الدراسة الفنية

1. الشكل

لاحظ الباحث من خلال الدراسة الموضوعية أنَّ الشعر الذي قيل في البخل جاء على شكلين هما: المقطّعات ويمثل هذا اللون غالبية النماذج الواردة في البحث، والنثف وهي أقلُّ الشعر، وكلُّ منها جاء في بيتين اثنين فقط. ويعزو الباحث السبب في ذيوع هذا النمط من النظم -أي المقطّعات- إلى سرعة حفظها وعلوّقها في الأذهان، كما أنه يساعد في سرعة انتشارها وتداولها بين الناس.

2. اللغة والأسلوب

من خلال استعراض النصوص الشعرية ظهر للباحث أنَّ الشعراء كانوا يميلون إلى استخدام ألفاظ سهلة، وترانيم واضحة بعيدة عن الغموض والإبهام، وذلك من أجل ضمان ذيوع أشعارهم بين الناس، ولذا تميزت لغتهم بالبساطة، بعيداً عن توظيف الألفاظ المعجمية المقصورة على الخاصة دون العامة. وممَّا ساعد على سهولة فهمها كونها منظومة في موضوع واحد هجواً أو وصفاً، ولهذا جاءت الألفاظ دقيقة دالة على معانٍ محددة واضحة. ويُوضح ذلك من خلال المثال الآتي: (58):

يَمْ دُوا أَكْفُهُ مُ لِعَطَاءِ
كَانَ أَكَ أَتَيْهُم بِالْجَاءِ

فَلَيْسَ كَمَنْ إِنْ تَسْ أَلْهُمْ عَطَاءَ
إِذَا جِنْ ثُمَّ بِالْمَ دِيجِ أَنْ زَوْفَا

فالألفاظ الواردة في النّفقة سهلة واضحة ولا غرابة في معانيها.

ومن الأمثلة الأخرى الدّالة على مصدق من نذهب إليه، قول ابن الأبار (59):

أَحَّهُ إِلَيْسَارٍ فِي دُرْوِتِهِ
قَاعِتِي أَكْثَرٍ مِنْ ثُرْوِتِهِ

لَا أَرْتِضِي الْبَاخِلَ خَلَّاً وَإِنْ
دَعَةُ يَكَاثِرَ بِالثَّرَاءِ التَّرِي

فالبيتان لا يحتاجان إلى تفسير أو شرح أو توضيح، إذ إنّ الشّاعر يوجّه كلامه إلى العامّة دون الخاصة.

ويلاحظ تأثّر الشّعراء باللغات القرآن الكريم، والأحاديث النّبوية الشّريفة، ومن ذلك قول أبي جعفر الإلبي (ت 779هـ) (60):

لَقُولِهِ "مَا عَذْكُمْ يَقْدِدُ"

يَا صَاحِبَ الْمَالِ أَلْمِ شَنْتَمْ

فعبارة "ما عندكم ينفد" مأخوذة من قوله تعالى: **﴿مَا عندكم ينفد وما عند الله باق﴾** [التحل: 96].

وقول ابن عبد ربه (61):

تَفْجَرَ مِنْ صُمَّ الْحِجَارَةِ مَاءَ
لَمَّا اتَّبَعَتْ مِنْ ضَرْبِهِ الْبَخَلَاءُ

حِجَارَةُ بُخَلٍ مَا تَجْفُدُ وَرِبَّمَا
وَلَوْ أَنَّ مُؤْسَى جَاءَ يَصْرِبُ بِالْعَصَما

ففي البيت الأول اقتباس بالإشارة من قوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَجَرَّ مِنْهُ أَنَّهَا إِنَّمَا لَمَّا يَشَقَّقُ فِي خَرْجِ
مِنْهُ الْمَاء﴾** [البقرة: الآية 74]، والبيت الثاني مأخوذ من قوله تعالى: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى إِذَا^١ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَمَ
الْحَجَرِ فَانْجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَا عَشَرَةَ عَيْنًا﴾** [الأعراف: 160].

واستخدم بعض الشّعراء الأمثل العريبة، كقول الرّشاش (62):

حَالِبٌ تَيْسًا مِنْ شَهْوَةِ الْلَّبِنِ

إِنَّ الَّذِي يَرْجُي نِدَاكَ لَكَأَلَّا

تَفَرَّقُ بَيْنَ الْقَبِحِ وَالْحَسَنِ
يُحِبُّ تَيْسًا مِنْ شَهْوَةِ الْلَّبِنِ

أَصْبَحَ لَا تَعْرِفُ الْجَمِيلَ وَلَا
إِنَّ الَّذِي يَرْجُي نِدَاكَ كَمَنْ

وقد وظّف الشّعراء ألفاظ الحديث الشريف، ومن أمثلة ذلك قول ابن خاتمة (64):

فَالْحَالُ تَفَقَّى وَيَبْقَى الْذِكْرُ أَخْوَالًا
أَنْفِقَ وَلَا تَخَشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا

إِذَا وَجَدْتَ فَجْدَ الْلَّهَاسِ قَاطِبَةَ
لَا سِيَّمَا وَرَسُولُ اللَّهِ ضَامِهَ

اتّأ الشّاعر في الدّعوة إلى الجود والكرم على الموروث الّذيني، مشيرًا إلى أنّ البذل هو الذي يُخلد ذكر المرء، فالمال يفنى، والذّكر يبقى، وقد استند في دعوته إلى البذل مُحتجًا بقول رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِبَلَّ: "أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً". وضمن بعض الشّعراء ما قاله الإمام علي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، كقول ابن سارة (65):

مَالُ الْبَخِيلِ لِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ

فَالْبَخِيلُ بَيْنَ الْحَادِثَيْنِ وَإِلَمَا

فقد أجاد الشاعر في الدعوة إلى إنفاق المال في وجوه الخير، مستعيناً بقول الإمام عليٍّ رضي الله عنه: "بَشَرَ مالُ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ".

وهذا على بن محمد بن سليمان الانصاري يوظف ألفاظ حديث شريف آخر في دعوة الناس إلى الإنفاق والبعد عن الإمساك، يقول (66):

إِلَهُ الْمُؤْمِنِ قُ الْكَفِيْلُ	يَا أَيُّهُ الْمُمْسِكُ الْبَخِيلُ
فَإِنِ اخْسَانَهُ جَزِيلُ	أَنْفِقْ قَوْلَقْ بِالْإِلَالِهِ تَرْبَخُ
مَا رُوِيَ "ابْدَأْ بِمَنْ تَغْفُلُ"	وَقَدْ دَمِ الْأَثَرِ رَبِيْنَ وَادِيْرُ

(67)

فقد أجاد الشاعر في البيت الثالث تضمين الحديث النبوي الشريف الذي أكد فيه الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وسلم، على ضرورة الإنفاق على الأقربين دون الأبعدين، ممن تجب عليهم نفقتهم، وقد مثل عليهم بالولد والزوجة والوالدين، وغيرهم ممن هم بحاجة إلى المال.

واستخدم بعض الشعراء أسلوب الحوار أو القصيدة في مقطوعاتهم وهو ما أضفى عليها جانبًا من الحيوية كقول ابن رضوان المالقي (68):

مُنْزِلِ الْجَنَانِ ضَنْ بِذَاكِ	وَبَخِيلِ لَمَّا دَعَفَهُ لِسْنَتِي
جُلُّ مَالِي فَلَسْتُ لِلْذَّارِ تَارِكِ	قَالَ: لِي مَخْرَنْ بِذَارِي فِيْهِ
فَقُولُ خِيْرِ مَرْغِبِ فِي اِنْتِقَالِكِ	فُلْتُ: وُقْفَتُ لِلصَّوَابِ فَحَانِزُ
وَلِتَكُنْ سَاكِنًا بِمَخْرَنِ مَالِكِ	لَا تَعْرِجْ عَلَى الْجَنَانِ بِسُكْنَى

ووظفوا في مقطوعاتهم الأساليب الإنسانية من أمر ونداء، كقول أبي جعفر أحمد بن محمد المعافري في هذا الباب (69):

إِلَهَكَ فَلَنْجَمْلَنِ إِذَا أَنْتَ طَالِبُهُ	تَكَفَلَ بِالرِّزْقِ الَّذِي تَسْتَحِثُهُ
شَكُورًا فَالشُّكْرُ لَا شَكَ جَالِبُهُ	وَكُنْ سَاعِيَا فِيْهِ عَلَى وَفْقِ أَمْرِهِ
يَئَالَكَ مِنْهُ مَا أَنَالَكَ وَاهِبُهُ	وَإِيَالَكَ وَالسَّعِيُ الْمُذْلَنْ فَإِلَيْهِ
فَمَا الْحِرْصُ مُذْنِيْهِ وَلَا الْبُطْهُ سَالِبُهُ	دَعِ الْحِرْصَ فِيْهِ وَاسْأَلِ اللَّهَ بَشْطَهُ
وَرَبَّ حَرِيْصٍ أَعْوَزْتُهُ مَكَابِسُهُ	فِيَا رُبَّ وَإِنْ نَالَهُ كَيْفَ مَا اشْتَهَى

وأكثر بعض الشعراء من ذكر ألفاظ خاصة بالبخل مثل: "شح، شح، تقرّر، يضيّن، باخل، المطل، التسويق"، والكرم وألفاظه نحو: "بذل، عطاء، جود، نوال، ندى"، وكذلك ألفاظ الطعام وأدواته، ومن ذلك: "يأتمد، تهتضم، صحف، مائدة، صحفة، خبز" وغيرها.

وقد وظف الشعراء في أشعارهم الطلاق بكثرة، وبخاصة في نقد البخل وتبني الصورة السلبية للبخل، ولا يخفى على أحد القيم الجمالية له من خلال استحضار الأضداد في المقام نفسه بغية الكشف عن فضل هذا على ذاك، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن رزين (70):

أَيَامَةُ وَأَنَصَ رَفْتُ جُنَاحَةً	وَمَنْ أَذَلَ الْمَالَ عَرَثْ بِهِ
-------------------------------------	------------------------------------

فَاهْدِمْ بَيْاءَ الْبُخْلِ وَرْفِضْ بِهِ مَنْ هَلَمْ الْبُخْلَ بَلَى مَجْدَهُ

فقد طابق بين الذل والعز في البيت الأول، والهدم والبناء في الثاني.

والتكرار من الظواهر الأسلوبية التي يمكن ملاحظتها في هذا الموضوع، فحياناً نجد الشعراء يكررون بعض الحروف مثل: "لو"، والضمائر: "أنت"، والأفعال "قلت، قال"، وكذلك الأسماء "صيف"، ونجد المعاني أيضاً تتكرر على نحو ما أشرنا إليه في الدراسة الموضوعية، ومن الأمثلة على التكرار قول الشاعر (71):

فَإِنِّي بِضَنِيفٍ حِينَ يُقْدِمُ أَفْرَخُ
إِذَا كَانَ يُزْرِي كُلَّ ضَنِيفٍ بِضَنِيفٍ
فَيَأْكُلُهُ عِنْدِي وَيَمْضِي فَيَهْدُخُ
وَذَاكَ لَأَنَّ الصَّيْفَ يَأْتِي بِرُزْقِهِ

فكّر مفردة "الصيف" في التّنّقة أربع مرات، ولا شكّ في أنّ للتّكرار قيمة كبيرة يظهر من خلالها التّأكيد على ضرورة إكرام الصيف واحترامه، وهذا ما أكدّ عليه الشّاعر من خلال حسن استقباله وإطعامه والإحسان إليه دون التّبرّم في وجهه، وبذلك يكون قد نال مدحه وثناءه.

ووظّف الشّعراء الجناس على نحوٍ ضيقٍ قياساً مع الطّباق، ومن الأمثلة على ذلك قول أحدّهم (72):

وَتَقَوْلُ: نِعْمَ سَجِيَّةُ الْبُخْلِ
طَفَقَتْ ثُؤْبَنِي عَلَى الْبَذْلِ
وَبِقِيَّتْ فِي شَظَفٍ وَفِي أَزْلِ
قَذْ أَصْبَحَ الْبُخْلَةُ فِي شَرْفٍ

فقد جانس الشّاعر بين: "بذل، بخل"، و "شرف، شطف".

3. الصورة الفنية

استخدم الشّعراء الذين قمت بدراسة أشعارهم التّصوير البّياني في التّعبير عن مشاعرهم للكشف عن المظاهر السّلبية لظاهرة البخل، وذلك بهدف هجاء البخلاء والتّنفير منهم، ولذا نجدّهم يستمدّون صورهم وتشبيهاتهم من الأشياء التي وصفوها وانبروا لها بالبهاء.

ومن خلال الوقوف على التّصوص الشّعريّة نجد أنّ الصّور المستوحة تراوحت ما بين التّشبيه المفرد والاستعارات، فقد لجأ الشّعراء إلى تشخيص الجمادات، ويعثوا فيها الحياة حتى تكون الصّورة أعمق أثراً وأكثر وضوحاً وأعلقاً في الأذهان، كما أنّهم عمدوا إلى التّوّاصل بالتراث من أجل استحضار الشخصيّات الّذينيّة أو التّاريحيّة أو الأدبية المعروفة حتى تكون صورهم أكثر حيّة، وتكون مفعمة بروح الدّعابة والظّرافـة.

تجدر الإشارة إلى أنّ بعض الصّور لا تخرج عن الإطار التّقليدي في التّشبيه وبخاصة في التّشبيه المفرد أو التّمثيلي، غير أنّ بعضها جاء مبتكراً وبخاصة تلك الصّور المستمدّة من التّراث الّذيني. ومن الأمثلة على التّشبيه المفرد قول أبي بكر المخزومي في وصفبني سعيد مستمدّاً صورته من عالم الحيوان حتى تكون الصّورة الهجائيّة أعمق أثراً وأشدّ إيجاعاً للمهجو (73):

أَغْطِيَتْ ثُمَّ نَزَّرَأَ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى
وَلَشَدَّدَ مَا عَرَضَ ثَمُونِي لِلْقَاءَا
وَيَقْوِلَ وَلَوْنَ وَغَدَّا: إِنَّهُ أَكْثَرُ
فَرَسْ عَتَيْقُ عَاشَرَتْهُ حَمِيْرُ
يَا رَبِّ أَلَّتْ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرُ

ففي هذه اللوحة يصور خيبة الأمل في الحصول على العطاء، ويصفهم بأنهم كثيرو المماطلة، عديمو الوفاء بالوعود، قليلو العطاء، وهو في رأي أحدهم شيء كثير، ثم يُمعن في الهجاء واصفًا نفسه بالفرس وإياهم بالحمير، وهذا من أقبح الأوصاف وأشنعها، جاعلاً شعره الذي يصدق به في مقام صهيل العناق من الخيل، والرَّدُّ عليه أشبه ما يكون بنهاق الحمير، ويدعو ربّه أن يُخلصه منهم.

ومن جميل الصور الطريفة قول يحيى بن حكم الغزال في محاربة التسول والإلحاح في السؤال بقوله(74):

قُلْتُ إِذْ كَرَرَ الْمَقَالَةَ: يَكْفِي
أَنْتَ أَوْلَى بِدِرْهَمِي أَمْ عَيْالِي؟
لَسْتُ مِمَّنْ يَكُونُ يَخْدُعُهُ مِثْلَكَ
فَسَاعْلَمُ, بِهِ ذِهَرَقَوْلَ
يُعَصِّرُ زِقْ مُعَنَّلٌ بِالْحِبَالِ
مَا أُوْلَى الرَّكَّاَةِ إِلَّا كَمَا

فالشاعر -هنا- برع في الإثبات بتشبيه عجيب في البيت الأخير، كاشفاً أنه لا يؤدي الرِّكَّاة إلا بعد جهد ومشقة؛ لأنَّه لا مال لديه بحيث توجب عليه الرِّكَّاة، ولو فعل ذلك لكان كالذى يعصر قربة العسل بكل ما أوتي من قوَّة ليستخرج ما تبقى فيها، وهذا هو حاله في إخراج الرِّكَّاة إذ إنَّها لا تجب عليه؛ كونه لا يجمع طوال العام المال الكافى الذى تجب فيه الرِّكَّاة.

وقد اتَّكَأَ السُّمَيْسِرُ (ت 480هـ) يتكلَّمُ على الموروث التَّينِي في رسم صوره السَّاحِرَةِ من البخلاء، ومن ذلك قوله في ذم أبي

الحسن العامري(75):

خَادِعٌ نَّبْخَلٌ عَالِيٌّ
فَهُنَّ يَكَالُّونَ اعْتَرَثُهُ
جَادَ زَرَّا فَقِيلَّا
عِبَابَ الْأَسْاسِ وَقَالُوا
هَلْ زَلَّ ثُمَّ بَعْدَ مُؤْسَى

تَلَكَ فِي الْعَالَمِ ثُرْدَةٌ
عَصَرَ إِبْرَاهِيمَ قِرْرَةٌ
دِرْهَمُ السَّاقِطِ بَثْرَدَةٌ
كَيْنَ فَنِيَّا ثُمَّ مَثْرَدَةٌ ذَرَّةٌ؟
أَحَدَّا فَجَرَ رَصْرَخَرَدَةٌ؟

في هذه المقطوعة إلماعاتان: الأولى إشارته إلى نار سيدنا إبراهيم -عليه السلام- التي نجا منها بقدرة الله عزَّ وجلَّ، وصارت عليه بردًا وسلامًا، وكأنَّه يلمح ساخراً من أبي الحسن الذي حاد قليلاً عن صفة البخل المتأصلة في نفسه، وهذه إحدى العجائب والمعجزات التي لا تقع إلا في النَّادر، ولهذا سخت نفسه وجاد بدرهم حقير، غير أنَّ هذا الديْرَهُم يساوي عشرة آلاف درهم عنده، فكان فعله هذا معجزة أشبَّهَت معجزة أبيينا إبراهيم.

والإلماعية الثانية جاءت كذلك اتفاقاً مع واقع الحال، فأشار إلى معجزة سيدنا موسى -عليه السلام- وتقدِّر المياه من الصَّخر حينما ضربه بعصاه، ويأتي ذلك بالإشارة إلى سؤال النَّاسِ الَّذِينَ استغروا ذلك الفعل، فمن المستحيل أن يوجد أبو الحسن، ومن المستغرب حقاً أن تُقلَّت منه ذرَّة، وهو في الأساس صخرة.

ويستحضر ابن عبد ربِّه صورة عصا سيدنا موسى عليه السلام في رسم صورته، يقول(76):

صَحِيفَةُ كَتَبَتْ لِيَتُّ بِهَا وَعَسَى
عُنَوَّهَا رَاحَةُ الرَّاجِي إِذَا يَئِسَ
أَحْشَاءُ صَدِّي بِهِ مِنْ طُولِ مَا هَجَسَا
وَعَذْلَهُ هَاجِسٌ فِي الْقَلْبِ قَدْ بَرِمَتْ

يَرَاعَةٌ غَرَّنِي مِنْهَا وَمِيَضٌ سَأَنِ
فَصَادَفَتْ حَجَرًا لَوْكِنَتْ تَضَرِّبُ
كَائِنًا صِيَغَ مِنْ بُخْلٍ وَمِنْ كَذِبٍ
كَلْبٌ يَهْرُ إذا مَا جَاءَ زَائِرٌ

حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَ مُقْبِسًا
مِنْ أَوْمَهِ بَعْصًا مُوسَى لَمَّا انْجَسَا
فَكَانَ ذَاكَ لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا
حَتَّى إِذَا جَاءَ مُهَدِّي ثُحَّةٌ نَبَسَا

تشَّحِّصُ الصُّورَةِ فِي هَذِهِ الْلَوْحَةِ بِمَظَاهِرِ الْحَزَنِ وَالْيَأسِ، فَقَدْ اسْتَهَلَّهَا بِالْحِرْفِ "لَيْتْ" الَّذِي يَدْلُّ عَلَى التَّمَنَّى، وَالْفَعْلُ "عَسَى" الَّذِي يَحْمِلُ مَعْنَى الرَّجَاءِ، لِيَكْشِفَ عَمَّا يَجُولُ فِي صَدْرِهِ مِنْ انْقِطَاعِ الْأَمْلِ فِي الرَّجَاءِ نَتْيَةً لِلْوَعْدِ الْكَاذِبِ الَّتِي انتَظَرَهَا مِنْ زَمْنٍ بَعِيدٍ، فَقَدْ عَاشَ حَيَاةً مَمْلُوَّةً بِالْهَوَاجِسِ، مَبْنِيَّةً عَلَى الْأَوْهَامِ الْكَاذِبَةِ، فَقَدْ غَرَّهُ الْأَمَانِي بِبَرِيقِهِ الْخُلُبِ الْكَذَابِ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيَقْبِسِ النُّورِ مِنْ سَنَاهَا الرَّازِفِ، وَيَسْتَحْضُرُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ صُورَةً عَصَا مُوسَى لِتَتَدَخَّلَ فِي الْمَشْهَدِ، غَيْرَ أَنَّ الْمُعْجَزَةَ لَمْ تَحْدُثْ وَلَمْ يَتَعَجَّرْ الصَّخْرُ الْبَيْتَةُ، وَلِهَذَا جَاءَتِ الصُّورَةُ مَعْكُوسَةً، فَلَمْ يَنْجُسْ الْبَخِيلُ عَطَاءً عَلَى نَحْوِ مَا انْجَسَ الصَّخْرُ مَاءً.

وَيَسْتَمِرُ فِي عَرْضِ الْمَشْهَدِ مُنْتَقِلًا إِلَى الْبَخِيلِ الَّذِي صَوَرَهُ بِأَنَّهُ مُخْلُوقٌ مِنَ الْبَخْلِ وَالْكَذْبِ، لِتُشَكِّلَ الصِّفَاتُ مَعًا رُوحَهُ وَنَفْسَهُ، وَصَوَرَ ذَلِكَ الْبَخِيلَ بِكَلْبٍ يَعْوِي وَيُكَثِّرُ عَنْ أَنْيابِهِ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ شَخْصٌ غَرِيبٌ، وَيَظْهُرُ هَذَا الْوَصْفُ عَدْمُ رَغْبَةِ ذَلِكَ الْبَخِيلِ فِي اسْتِقْبَالِ مِنْ يَطْرُقُ بَابَهُ مِنَ الصِّيفَانِ.

نتائج البحث:

1. من خلال استقراء الأشعار تبيّن للباحث أنَّ الشُّعراً كانوا ناقمين على أصحاب النُّفوذ والمال، وهذا ما دفعهم إلى هجائهم والتَّنَيُّل منهم، والتَّعرِيز بما فيهم من بخل، وخلال سيئة.
2. رأوا الشُّعراً في موقفهم من البخل، فمنهم من آمن به ودافع عنه وهم قَلَّة، ومنهم من نبذه ووقف منه موقفاً معادياً، وهذا موقف جَلَّهم.
3. ظهر للباحث أنَّ أكثر النَّاسِ بخَلَّا هم الأثرياء وأصحاب الجاه من رجالات الدولة، وهذا ما دفع الشُّعراً إلى النَّيَّلِ منهم.
4. عانى الشُّعراً من المطْلِ والتَّسْوِيفِ والوَعْدِ الْكَاذِبِ مِنَ الْمَدْوِحِينِ، وكشفت أشعارهم عن نفوس حزينة يائسة، وتخلَّلت أشعارهم شُكْوِيَّةً مُرِيَّةً مِنَ الْحُلْفِ.
5. أكثر الشُّعراً من رسم صور كاريكاتورية ساخرة للبخلاء، فكشفوا عن سوء طباعهم، وحبِّهم الجَمَّ للمال، وبخليهم الشَّدِيد، وقد اتَّكَأَ الشُّعراً في رسم تلك الصور على الموروث الديني والتَّارِيحي في تصوير أولئك البخلاء.
6. كان ابن عبد ربه من أكثر الشُّعراً الأندلسيين حديثاً عن البخل.
7. أغلب الشعر الذي قيل في البخل جاء على شكل مقطوعات ونُنُق شعرية.

الهوامش:

- (1) ابن بسام، الذِّخِيرَةُ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ 186/1.
- (2) ابن بسام، الذِّخِيرَةُ 115/4-116.
- (3) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطِيب 223/1.
- (4) المقري، نفح الطيب 224/1.
- (5) ابن بسام، الذِّخِيرَةُ 103/4+451، ابن سعيد، المغرب في حلِّ المَغْرِبِ 14/2.

- (6) المقرى، *نفح الطيب* 3/363.
- (7) ابن بسام، *الذخيرة* 1/643.
- (8) العmad الأصفهانى، خريدة القصر 3/536، ابن خاقان، قلائد العقيان 874.
- (9) المقرى، *نفح الطيب* 3/205.
- (10) ابن سعيد، *المغرب في حل المغرب* 1/93.
- (11) ابن سعيد، *المغرب* 1/231.
- (12) ابن سعيد، *المغرب* 1/231.
- (13) ابن سعيد، *المغرب* 1/231.
- (14) ابن عبد ربه، *الديوان* 79 رقم (78)، ابن خاقان، *مطمح الأنفس* 270، الضبي، بغية الملتمس 149.
- (15) ابن الحداد الأندلسي، *الديوان* 184 رقم (12).
- (16) العmad الأصفهانى، خريدة القصر 2/144، ابن خاقان، قلائد العقيان 406.
- (17) العmad الأصفهانى، خريدة القصر 2/144، ابن خاقان، قلائد العقيان 404.
- (18) العmad الأصفهانى، خريدة القصر 2/145، ابن خاقان، قلائد العقيان 407 البيت 4: "يشتعل".
- (19) هدى شوكت بهنام، *دواوين شعراء أندلسين* 245، المقرى، *نفح الطيب* 5/589.
- (20) هدى شوكت بهنام، *دواوين شعراء أندلسين* 257، المقرى، *نفح الطيب* 5/545.
- (21) ابن الأبار، *التكلمة لكتاب الصلة* 2/221.
- (22) البغدادي، *خزانة الأدب* 9/247.
- (23) ابن بسام، *الذخيرة* 3/92.
- (24) الكتاني، *التشبيهات من أشعار أهل الأندلس* 253+254.
- (25) ابن الأبار، *الديوان* 102 رقم (40).
- (26) الجزار السرقسطي، *الديوان* 80-81.
- (27) ابن عبد ربه، *الديوان* 116 رقم (162).
- (28) المقرى، *نفح الطيب* 2/543.
- (29) المقرى، *نفح الطيب* 2/543.
- (30) المقرى، *نفح الطيب* 2/543.
- (31) العmad الأصفهانى، خريدة القصر 1/114.
- (32) العmad الأصفهانى، خريدة القصر 1/70.
- (33) المقرى، *نفح الطيب* 3/121.
- (34) ابن بسام، *الذخيرة* 3/684.
- (33) الكتاني، *التشبيهات من أشعار أهل الأندلس* 252.
- (36) يحيى بن الحكم الغزال، *الديوان* 27 رقم (1).
- (37) الكتاني، *التشبيهات* 253.
- (38) ابن عبد ربه، *الديوان* 41 رقم (1).
- (39) اقتباس من قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنَ الْحَجَرِ لَمَا يَتَقَرَّرُ مِنْهُ إِنَّمَا يَشْقَقُ فِي خَرْجِ مِنْهُ الْمَاءُ" سورة البقرة، الآية 74.

- (40) اقتباس من قوله تعالى: "أَوْهِينَا إِلَى مُوسَى إِذْ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَمِ الْحَجَرِ فَانْجَسَطَ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا" سورة الأعراف، الآية 160.
- (41) ابن عبد ربه، الديوان 49 رقم (21).
- (42) ابن خاتمة، الديوان 235.
- (43) ابن عبد ربه، الديوان 86 رقم (94).
- (44) الكتاني، التشبيهات 257.
- (45) ابن عبد ربه، الديوان 149-150 رقم (236).
- (46) الكتاني، التشبيهات 255.
- (47) ابن حيان، المقتبس 175-176، الكتاني، التشبيهات 235 البيت 2: "نَحْرٌ" ، "دَارِجَةٌ" . البيت 3: "وَلُوٌ" ، نَزَلَتْ.
- (48) الكتاني، التشبيهات 253.
- (49) ابن الخطيب، الإحاطة 3/451 وأورد الأبيات (1، 2، 4)، المقرى، نفح الطيب 6/111.
- (50) ابن خاتمة، الديوان 157 رقم (147).
- (51) ابن خاتمة، الديوان 154 رقم (137).
- (52) الصفدي، الوافي بالوفيات 13/299، المقرى، نفح الطيب 4/297 البيت 1: "تَمْسَكَهُ" .
- (53) محمود العامودي، شعر الشعسي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني 486 رقم (45).
- (54) المقرى، نفح الطيب 3/464.
- (55) المقرى، نفح الطيب 3/481.
- (56) المقرى، نفح الطيب 2/490.
- (57) المقرى، نفح الطيب 4/330.
- (58) الكتاني، التشبيهات 253.
- (59) ابن الأبار، الديوان 102 رقم (40).
- (60) المقرى، نفح الطيب 2/682، الرعيني، طراز الحلة وشفاء الغلة 304.
- (61) ابن عبد ربه، الديوان 41 رقم (11).
- (62) الكتاني، التشبيهات 253.
- (63) الثعالبي، ثمار القلوب 309.
- (64) ابن خاتمة، الديوان 156-157 رقم (146).
- (65) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة 2/221.
- (66) ابن الخطيب، الإحاطة 4/143، المقرى، نفح الطيب 5/422.
- (67) مسلم بن الحجاج، الصحيح 4/2027.
- (68) ابن الخطيب، الإحاطة 3/451، المقرى، نفح الطيب 6/111.
- (69) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة 107.
- (70) ابن بسام، الذخيرة 3/92.
- (71) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 2/142، ابن حاقان، قلائد العقيان 406.
- (72) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 2/145، ابن حاقان، قلائد العقيان 457.

- (73) ابن سعيد، المغرب في حل المغارب 231/1.
- (74) يحيى بن الحكم الغزال، الديوان 72 رقم (53).
- (75) محمود العامودي، شعر السُّمِيسِر، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني 479 رقم (24).
- (76) ابن عبد ربه، الديوان 49 رقم (21).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن الأبار، محمد بن الأبار اللبناني (1985): الديوان، قراءة وتعليق: الدكتور عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر.
- الأصفهاني، عماد الدين محمد (1986): خريدة القصر وجريدة العصر (1-3)
- (ج1): تحقيق: محمد المطوي، آخرون، الدار التونسية للنشر، تونس.
- (ج2+3): تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نفعه وزاد عليه: محمد المطوي، آخرون، الدار التونسية للنشر، تونس.
- ابن بسام، علي بن سام الشنطري (2000): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (1-4)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (1998): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (1-13)، تحقيق: محمد نبيل طريفى، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.

- بهنام، هدى شوكت (2012): دواوين شعرية لشعراء أندلسين، عمان-الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع.
- التونجي، محمد (1993): ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الشاعلي، عبد الملك بن محمد (2003): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

- الجازار السرقسطي، يحيى بن محمد (2002): الديوان، تقديم وتحقيق: العربي سالم الشريف، ليبيا: دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

- الحُمَيْدِي، محمد بن فتوح (1952): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، قام بتصحيحه وتحقيقه الأستاذ محمد بن تاویت الطنجي، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، مطبعة السعادة، القاهرة.

- ابن حيان، حيان بن خلف (1995): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حَقَّهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَقَ عَلَيْهِ: الدكتور محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- ابن خاتمة، أحمد بن علي الانصاري (1994): الديوان، حَقَّهُ وَشَرَحَهُ وَقَدَّمَ لَهُ: الدكتور محمد رضوان الديمة، بيروت: دار الفكر المعاصر.

- ابن خاقان، الفتح بن محمد (1989): قلائد العقيان ومحاسن الأعيان (1-4)، حَقَّهُ وَعَلَقَ عَلَيْهِ: الدكتور حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن.

- ابن خاقان، الفتح بن محمد (1983): مطبع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، عمان-الأردن: دار عمار، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- ابن الخطيب، لسان الدين (2001)، الإحاطة في أخبار غرناطة (1-4)، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط. 4.

ابن الخطيب، لسان الدين (1983): *الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعرا المائة الثامنة*، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ط.1.

ابن دحية، عمر بن حسن (د.ت): *المطرب من أشعار أهل المغرب*، تحقيق: إبراهيم الإباري، وآخرون، دار العلم للجميع، بيروت. الرعيني، أحمد بن يوسف (1990): *طراز الخلّة وشفاء الغلّة* (شرح الخلّة السّيّرا في مدح خير الورى) لابن جابر الأندلسي (780هـ)، حقّقته وقدمت له: د. رجاء السيد الجوهرى، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (1978): *المغرب في حل المغرب* (1-2)، حقّقه وعلّق عليه: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (2000)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق واعتاء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط.1، المجلد 13.

الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة (1967): *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*، دار الكتاب العربي، القاهرة. الطبراني، سليمان بن أحمد (1415هـ): *المعجم الأوسط* (1-10)، تحقيق: طارق بن عوض الحسيني، دار الحرمين، القاهرة. طويل، يوسف علي (1990): *ديوان ابن الحداد الأندلسي*، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1.

العامودي، محمود (2001): *شعر السُّمَيْسِر أبي القاسم خلف بن فرج الإلبي*، جمع ودراسة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني، غرّة- فلسطين.

الغزال، يحيى بن حكم (1993): *الديوان*، جمعه وحقّقه وشرحه: الدكتور محمد رضوان الديا، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق.

الكتاني، محمد بن الكتاني (1966): *كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس*، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. مسلم بن الحاج، أبو الحسين النيسابوري (د.ت): *صحيح مسلم* (1-5)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المقري، أحمد بن محمد (1968): *نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب* (1-9)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

قائمة المراجع المرومنة:

- Al Amudi, M. (2001). *Shiar al sumaisar abi al qasim khalaf bin faraj al albiri*. Poetry of Al Sumisar Abu Qasim Khalaf Ibn Faraj Al Biri (in Arabic) Compilation and Analysis. Islamic University Journal. Volume 9.number 2. Gaza. Palestine.
- Al Baghdadi, A. U. (1998): *Khizanat al Adab wa lub Ibab lisan al arab*. Library of literature and door of the heart of the Arab language (1-13). Muhammad Nabil Tarifi, Emil Badi Yaqub Analysis (in Arabic). Scientific Books House. Beirut.
- Al Dabi, A. Y. A. (1967). *Bughiah almltms fi tarikh rjal a'hl ala'ndls*. The purpose of seeker in the history of the men of the people of Andalusia (in Arabic). Dar Al KitabAl Arabi. Cairo.
- Al Humaidi, M.F. (1952) *Jathwat al muqtabas fi thikr wulat al andalus* Flame of quoted in recounting Andalusia ruler (in Arabic). Mohammad Ibn Tawit At Tanji Edited and Investigated. Maktab Nashr Ath Thaqafa al Islamiya. As Saada Printing House. Cairo.
- Al Jazaar Alsarqasti, Y. M. (2002). *Al Diwan*. Introduction and Investigation: Al Arabi Salim As Sharif (in Arabic). Dar Ash Shumu' for Culture Printing and Publication. Libya.
- Al Ghazal, Y.H.(1993). *Al Diwan*. Dr. Muhammad Ramadaan Al Daiya Dr. Muhammad Compilation, investigation and illustration. Dar Al Fikr Al Muasir. Beirut. Damascus.

- Al Kitani, M. K. (1996). *Kitab al tashbihat min ashaar ahl al andalus*. The book of metaphors from the poems of the people of al andalus (in Arabic). Ihsan Abbas. Dar al Thaqafa. Beirut.
- Al Maqri, A.M. (1968). *Nafkh at tiyb min ghusn al andalus al ratib (1-9)*. Spray of perfume from the tender branch of al Andalus (in Arabic). Ihsan Abbas Investigation. Dar Sadir. Beirut.
- Al Ra'ini, A. Y. (1990). *Tiraz al hula wa shifa al ghula* (Sharh al hula alsira fi madh khair al wara). Best attire and appeasement of temper (Illustration of prophetic biography in the elegy of the best creation (in Arabic) Ibn Jabir Al Andulusi (780 H.) Dr. Raja Al Sayyid Al Juhari Investigation.
- Al Safadi, S. Kh. A. (2000). *Al Wafi bil Wafaiat*. The comprehensive in obituaries (1-2) (in Arabic) Ahmad Arnaut and Turki Mustafa. Beirut. Dar of Revival of Arabic Heritage. 1st print. Volume 13.
- Al Tabarani, S. A. (1415 H.). *Al mu'jam al awsat*. The middle dictionary (in Arabic). Tariq Ibn Awad Al Husaini. Dar Al Haramin. Cairo.
- Al Tunji, M. (1993). *Abn Abd rabu Alandalusi* with a study of life and poetry (in Arabic) Dar *Al Kitab Al Arabi Publishing House*. Beirut.
- Al asfahani, I. M. (1986). *Al Qasr* Newspaper and *Al Asr* Newspaper (1-3). Part 1: Muhammad AL Matwi et. al Investigation. Tunis House For Publication. Tunis.
- Bahnam, H. Sh. (2012). *Dawāwīn shi'rīyah li-shu'arā' Andalusīyīn*
- Ibn Abbar, M. B. (1985). *Al Diwan*,: Dr. Abid Salam Al Harras, Appraisal and Commentary (in Arabic). Tunis House For Publication. Tunis.
- Ibn Bassam, A. B. Sh. (2000). *Al Khizana fi mahasin ahl shibh al jazira*. Library in the beauties of the inhabitants of the Arabian Peninsula (1-4) (in Arabic) Ihsan Abbas Investigation Islamic West- Publication House. Beirut.
- Ibn Dhyh, U. H.(No Date) *Al mutrib min asha'ar ahl al maghrib*. The Joyful poems of the people of Morroco (in Arabic) Ibrahim Al Ibiyari et. al. investigation . Dar Al ilm liljami'. Beirut.
- Ibn Hayan, H. Kh. (1995) *Al muqtabas min anbaa ahl al andalus*. Quoted from the news of the people of Andalusia (in Arabic). Dr. Mahmoud Maki investigation, introduction and commentary. Higher Council For Islamic Affairs, Islamic Legacy Revival. Cairo..
- Ibn Khaqan, F. M. (1983).*Matmaḥ al-anfus wa-masrah al-ta'annus fī mulaḥ ahl al-Andalus*. The aspiration of the souls and the theater of congeniality in the anecdotes of the people of al- Andalus (in Arabic) Muhammad Ali Shawabkah Analysis and Investigation. Amman. Jordan. Dar Ammar – ArRisala Institute. Beirut.
- Ibn Khaqan, F. M. (1989). *Qlaid Al 'iqan wa mahasin al 'aiyan*. Necklace of rubies and deeds of notables (in Arabic). Dr. Husain Yusif Kharuush Investigation and Commentary. Al Manar Bookstore. Zarqa . Jordan.
- Ibn Khatima, A. A. A, (1994) *Al Diwan*. Dr. Muhammad Ramadaan Al Daiya investigation, analysis and introduction. Dar Al Fikr Al Muasir. Beirut.
- Ibn al-Khatib, L. D. (1983). *Al Katiba Al Kamina fi man laqiynah bi andalus min Sha'ara al ma'a al thamina*. Latent battalion which we met in Andalusia of the one hundred and eight poets (in Arabic) Ihsan Abbas Investigation. Beirut. Dar Al Thaqafa 1st print.
- Ibn al-Khatib, L. D. (2001). *Ikhtisar fi Akhbar Gharnata*. Briefing in Granada news (in Arabic). Muhammad Adallaah Anan investigation, introduction and footnotes. Cairo. Al Khanji Bookstore, 4th print.
- Ibn Said Al Maghribi, A.M (1978). *Al maghrib fi hala al maghrib*. Morocco in the beauty of Morocco (in Arabic). Dr. Shawqi Daif Investigation and Commentary. Dar Al Ma'arif. Cairo.

- Muslim Ibn Hajjaj, A. H.N. (No date). Sahih Muslim. (1-5) Muhammad Fuad Abd Al Baqi investigation. Dar of Revival of Arabic Heritage. Beirut.
- Part 2: Athartash Atharnush Investigation (in Arabic), edited and added by Muhammad AL Matwi et. al. Tunis House For Publication. Tunis.
- Poetic collections of Andalusian poets (in Arabic). Dar Ghidaa for Publishing & Distribution. Amman. Jordan.
- Tawil, Y. A. (1990) Diwan Ibn Al Hadad Al Andalusi. Poems collection of Ibn Al Hadad Al Andalusi (in Arabic). Beirut. Scientific Books House. 1st print.
- Tha‘ālibī, A. M. (2003). Thimār al-qulūb fī al-muḍāf wa-al-mansūb. Heart fruits in the added and related (in Arabic). Muhammad Abu Fadel Ibrahim Investigation. Al Maktabah Al Asriyya. Beirut.
- The Holy Quran.